الفكر السياسى عند الفارابى قراءة معاصرة	د. رجاء أحمد على أستاذ الفلسفة المساعد بآداب القاهرة

مقدمة:

لكل عصر من عصور التاريخ الانسانى مشكلته الخاصة به والتى تشغل أذهان مفكرية، وترتبط بمظهر الحياة الإنسانية به، إلا إننا نجد أن هناك مشكلة مشتركة فى كل العصور، مشكلة يواجهها المفكرون منذ القدم وهى مشكلة حقوق الانسان وحق المواطن.

على الرغم من ان الله خلق الانسان على أحسن صورة وزينة بالعقل وكرمه وجعله خليفته على الأرض لكن أبا الانسان أن يتفرغ لهذه الرسالة المقدسة وبدأ يصارع الانسان أخاه الانسان ، فظلم الانسان للإنسان موجود منذ وجد الانسان على الأرض، لكن هذا الظلم يتفاوت من زمن لزمن ومن بلد لآخر، لذلك جاءت المطالبة بحقوق الانسان ، والمطالبة بحقوق الانسان لايرجع تاريخها الى الوثيقة التى صدرت عن قيادة الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩، بل ترجع ابعد من هذا بكثير.

فقديما نادى شيشرون بحقوق الانسان أو كما يقول بحقوق الشعوب وتطبيق فكرة المساواة والعدالة على مختلف الشعوب الانسانية [١]، فاذا كان قديما نادوا بالمطالبة بحقوق الانسان، واليوم نكرر نفس المطلب ونفس النداء لكن هيهات بين الندائين، فقديما كان للانسان حقوقه التى يمارسها لكنه كان يطلب المزيد ، فافلاطون كان ينشد السعادة القصوى فالشرق أدناه وأقصاه وبلاد اليونان وبلدان كثيرة كان لديهم احتراما

للانسان لكننا اليوم ننادى بحق الانسان فى أبسط حقوقه فى العيش الكريم، حقه في الحرية فإن تنازل الانسان عن حريته ينطوى على تنازله عن صفته كإنسان ، فطالب بحق الانسان فى أن يكون انسانا، حق المواطن الذى انتهك على يد القوى ، سواء كانت هذه القوى دول استعمارية أم حكومات أم حتى أفراد لهم نفوذهم وسطوتهم هكذا قهر الانسان الانسان واستغله أسوء استغلال ، وكما قال الشاعر الشيلى وصدق حين قال:

النبتة من بذرك والحاصد غيرك

والثروة من كدك والمالك غيرك

والحلة من نسجك واللابس غيرك.

فمنذ جمهورية أفلاطون الى المدينة الفاضلة الحديثة عند ويلز وتعددت المحاولات للاصلاح[٢]، ولكم حاولت النظم السياسة المختلفة جاهدة ان تخلق من الفوضى عالماً مستقر الأركان، لكن السلام الاجتماعى لم يزل يراوغ عقول مفكرى وفلاسفة السياسة الذين بحثوا عنه.

لكن ما نصيب الفكر الاسلامى فى هذا المجال؟

إذا استعرضنا تاريخ الفكر الاسلامى هل نجد فيه اسهاما فى هذا المجال، هل نجد بحثا عن حقوق الانسان ؟ بمعنى اخر هل نجد اهتماما من جانب مفكرى وفلاسفة الاسلام بالانسان حقوقه وواجباته ، أم نجد بحثا عن الواجبات دون الحقوق؟ هل هناك من بين مفكرى الاسلام من اهتم بالمواطن؟

الحقيقة إنه إذا اعتبرنا أن المواطنة تمثل جانبا سياسيا ومشـــاركة الفرد فى الحياة السياسية بهذا المعنى نجد مثل هذا الاهتمام ، إن الاهتمام بالجانب السياسى عند مفكرى الاسلام يظهر جليا فى أول مســألة ظهــر فيها الصراع القديم الجديد القائم حول مسألة الإمامة أوالخلافـــة ، هــذا الصراع الذى حُول مساره وبعد أن كان صراعا سياسيا أصبحــت تلــك الاحزاب السياسية فرقا دينية، إذن لم يدم البحث طويلا بل داخلته اموراً كثيرة .

إذن المسألة نجدها واضحة عند متكلمى الاسلام ، اما عند الفلاسفة المسلمين فقد تناولوا المسألة بشكل أخرإذ نجدهم وقد رفضوا هذا الواقــع الملئ بالصراعات والمصالح الفردية فهربوا منـــه وذلــك مــن خــلال محاولاًت يوتوبيه تتمثل فى أراء أهل المدينة الفاضلـــة عنــد الفــارابى فيلسوف المشرق العربى، وتدبير المتوحد عند ابن باجة فليسوف المغرب العربى(٣).

ولنقف عند محاولة الفارابى تلك المحاولة التى تُعد مزيجـــا مــن اتجاهات مختلفة ، فقد تأثر الفارابى فيها بالحكيم اليونـــانى أفلاطــون ، والشيخ اليونانى افلوطين ، الى جانب تأثره بالدين الاســلامى وسياســة الدولة الاسلامية ، لنقف عند هذه المحاولة ونحاول أن نقـــرأ الفــارابى قراءة معاصرة،ونستوضح من خلال هذه القراءة على بعــض المــفاهيم السائدة فى عصرنا نحاول أن نجد ما يقابلها عند المعلــم الثــانى،فمثــلا نحاول أن نتعرف منه على مفهوم المواطن هل موجود عنده بنفس اللفظة ؟أم نجد لفظة أخرى تحوى نفس المفهوم ؟ وأين يوجد المواطــن عنــده

وفى أى مدينة يكون؟ وما معنى المواطنة هل يمكن أن نتعرف عليها منه؟ هل هى الانتماء؟ وإذا كانت الانتماء فلأى شئ يكون هذا الانتماء؟

أسئلة عديدة تدور فى الذهن ونحاول ان نجد لها اجابة عند المعلم الثانى وذلك من خلال الوقوف أولا على الدولة عنده أو المدينة وكيف تتكون وأسباب تكوينها ورئيسها وأعضائها.

اليوتوبيا الفارابية:

إن فكر الفارابى فى هذا المجال قد تأثر تأثراً عظيما بفكر افلاطون السياسى والذى ظهر واضحا فى الجمهورية[٤]، لقد حاول أفلاطون إصلاح المجتمع من خلال محاولة خطها على الورق دون أن يحاول تنفيذها فى الواقع، وعندما فشل فى ان يصل الى الحكم نتيجة إنقلاب الاوضاع الاجتماعية والسياسية وسيادة الديمقراطية على الارستقراطية ، اتجه الى اقامة دولة جديدة لكن افلاطون أقامها فى خياله وبيّن من خلالها أن قيام الدولة امر ضرورى. فتنشأ الدولة نتيجة عجز الفرد عن الاكتفاء بذاته وحاجته إلى أشياء لا حصر لها، فما دامت حاجاتنا عديدة ، ومادام من الضرورى وجود اشخاص عديدين للوفاء بها ، فأن المرء يستعين بشخص من أجل غرض من اغراضه وبغيره من أجل تحقيق غرض اخر وهكذا ، وعندما يتجمع أولئك الشركاء الذين يساعد بعضهم بعضا فى اقليم واحد تسمى مجموع السكان دولة[٥]، ولهذا فالإجتماع أمر ضرورى فالانسان الفرد لايستطيع ان يحيا وحده.

وإذا كان السوفطائيون والقورينائيون قد ذهبوا الى أن تكوين المجتمعات الانسانية إنما يقوم على التعاقد بين الأفراد وليس على أساس

طبيعى غريزى ، فأننا نجد أفلاطون وكما سبق ان بينا قد ذهب عكس هذا المذهب فالاجتماع الانسانى حاجة طبيعية[٦]، وهذا أيضا ما أكد عليه المعلم الأول أرسطو ، إذ يرى أن الدولة من عمل الطبيعة، والانسان بطبعه كائن اجتماعى ، فالطبيعة على هذا النحو هى التى تدفع الانسان بصفة غريزية إلى إلا جتماع السياسى فالذى لايريد أن يعيش فى جماعة فهو اما حيوانا لا يفهم معنى النظام والكمال إو إله ليس فى حاجة الى من يكمله فهو بذاته كامل[٧].

فالدولة فى نظر افلاطون اشبه بالفرد من حيث هى وحدة حية مكونة من أجزاء كما يتكون جسم الانسان من أعضاء وكل جزء من أجزاء الدولة يؤدى وظيفة خاصة ، كما تختلف أعضاء الجسم الانسانى فى أداء وظائفها وترتبط هذه ألاجزاء بعضها ببعض ارتباطا وثيقا وتجتمع كلها فى مركز واحد، وتسعى إلى غاية مشتركة كذلك شبه الدولة بالنفس من حيث وظائفها ، فاختلاف الوظائف ينتج عنه اختلاف الأفراد فهم ليسوا سواء وفى هذا يقول:" يجب أن نشخص بأبصارنا إلى المدينة بالذات فنجد أن بينها وبين النفس شبها قويا ، فإن المدينة ثلاثة وظائف الادارة والدفاع والانتاج ، وتقابل قوى النفس الثلاثة الناطقة والغضبية والشهوانية وهذه الوظائف متباينة ، فلا يمكن ان تتركب من أفراد متساوين متشابهين ، وإنما يجب ان تتركب من طبقات متفاوته لكل منها وظيفة وأن يؤلف مجموعها وحدة تشبه وحدة النفس فى قواها الثلاث وذلك حتى يتحقق الغاية من الاجتماع[٨].

لقد تأثر الفارابى إلى حد بعيد بفكر أفلاطون السياسى ، يظهر هذا واضحا فى كثير من الأفكار السياسية عنده والتى ظهرت فى اكثر من

مؤلف له أهمها واكبرها كتابه المسمى أراء اهل المدينة الفاضلة والـــذى يُعد الفارابى من خلاله من بين من فكروا تفكيراً منظما فـــى النظريـــات السياسية، ولعله أشهر كتبه وألصقها به فيقـــال عنـــه صـــاحب المدينـــة الفاضلة والذى حاكى فيه جمهورية أفلاطون إلى حد بعيد [٩].

كذلك تظهر افكاره السياسية فى كتابه التنبيـــه علـــى الســـعادة ، وتحصيل السعادة ، أيضا السياسة المدنية او مـــا يطلـــق عليـــه مبـــادئ الموجودات [١٠].

هذه الأفكار الأفلاطونية سوف تتضح أثناء عرضنا لفكر الفارابى السياسى ، وسوف نلحظ ومنذ الوهلة الأولى فى معظم مؤلفات الفـــارابى السياسية أنها تصانيف فى العلم المدنى كما هى فى الوقت نفسه رســـائل تبحث فى الميتافيزيقا، وهذا ليس بغريب على الفـــارابى أو غـــيره مـــن فلاسفة هذا العصر الذين دمجوا الميتافيزيقـــا بالفيزيقـــا ، فالسياســـة لا تنفصل عندهم عن الإلهيات [١١]،والمجتمع الانســـانى لا ينفصـــل عـــن الميتافيزيقا.

الفارابى على دمج العالمين معا فى كتبه السياسية ، فمثـــلا فى أراء أهل المدينة الفاضلة وكما سبق أن أوضحنا أنه من أهـــم كتبـــه السياسية بدأه بنظرية فى الربوبية والتى تتضمن آراءه فى صفات واجب الوجود وصدور الموجودات عنه ثم تحدث فى القسم الثانى من الكتـــاب عن فكره السياسى. والمدن المختلفة فلم يفصل بين الميتافيزيقا والفيزيقا كذلك قدم اهم محاولة للتوفيق بين الفلسفة وبين ما ينبغى أن تكون عليـــه الحياة السياسية [١٢]، لكن تتحقق السعادة والحياة الصالحة الكاملة للبشر.

لقد ذهب الفارابى إلى ضرورة الاجتماع الإنسـانى ، فالإنسـان كائن اجتماعى بطبعه ، فلا بقاء للإنسان إلا به، وقد قال أرسطو قديما أن الإنسان حيوان اجتماعى ، وقال أفلاطون من قبله أن الدولة تنشـأ عـن عجز الفرد عن إيجاد حاجاته بنفسه ، وافتقاره إلى معونة الآخرين ، ولما كان كل إنسان محتاجا إلى معونة أخيه ، وكان لكل منا حاجات كثيرة فقد لزم اجتماع هؤلاء فى مستقر واحد فنطلق على ذلك المجتمع اسم مُدينـة أو دولة (١٣).

وتأكيداً لهذا القول يعقد الفارابى فصلا فى كتابه أراء أهل المدينة الفاضلة بعنوان "القول فى احتياج الإنسان إلى الاجتماع والتعاون" فيقول فيه :"كل واحد من الناس مفطور على أنه محتاج فى قوامـه أن يبلـغ أفضل كمالاته إلى أشياء كثيرة ، لا يمكنه أن يقوم بها كلها هو وحـده ، بل يحتاج إلى قوم يقوم له كل واحد منهم بشئ مما يحتاج إليـه ، وكـل واحد من كل واحد بهذه الحال ، فلذلك لا يمكن أن يكون الإنسان يَنـال الكمال الذى لأجله جعلت له النظرة الطبيعية إلا باجتماعات جماعة كثيرة متعاونين يقوم كل واحد لكل واحد ببعض ما يحتاج إليه فى قوامـه(١٤) ، ولهذا كثرت أشخاص الإنسان فحصلوا فى المعمورة من الأرض فحدثت منها الاجتماعات الإنسانية. فأساس الاجتماع هنا هو التعاون وهذا مـا حدا بـابن خلـدون إلـى اعتبـار أن الاجتمـاع مدنيـة أو مايسـميه بالعمران،ويستشهد الفاربى على أن الإنسان من الأنواع التى لا يمكن أن يتم لها الضرورى من أمورها ولانتيل الأفضل من أحولهـا إلا بجتمـاع منها كثيرة فى مسكن واستشهد على ذلك بالحيوان غير الناطق وأيضـا النبات،فكلاهما لا يحقق كما له إلا من خلال جماعة (١٥).

وبفضل هذا الاجتماع الذى هو ضرورى (طبيعى وفطرى) ينتج علما جديداً هو العلم الإنسانى إو العلم المدنى والمقصود بهذا العلم أنه علم الأشياء التى بها أهل المدن بالاجتماع المدنى ، ينال السعادة كل واحد بمقدار ماله أعد بالفطرة [١٦] ، لكن ما هى تلك السعادة التى يتشدها الإنسان ؟ وكيف يحصل عليها؟

اختلفت الأراء حول السعادة فيرى البعض أن الثروة هى السعادة ، والبعض يرى أن التمتع باللذات هو السعادة ، وهناك من يرى أن السياسة هى السعادة ، وهناك من يرى أن العلم هو السعادة ، وغيرهم يرى أن السعادة فى غير ذلك ، وكل واحد يعتقد فى الذى يرى أنه سعادة على الاطلاق إنه آثر وأعظم خيراً واكمل [١٧] ، لكن فى رأى الفارابى أن كل هذا ليس سعادة ، حتى الأفعال الجميلة ليست كلها تنال السعادة بها فالأفعال الجميلة قد يمكن أن توجد للانسان بالاتفاق أو بأن تُحمل عليها من غير أن يكون فعلها طوعاً واختياراً ، والسعادة ليست تنال بالافعال الجميلة متى كانت عن الانسان بهذه الحال [١٨].

من هنا يضع الفارابى شرطا مهما كى يكون الفعل جميلا فى ذاته ، هذا الشرط أن يكون الانسان قد فعله طوعا مختاراً له ليس فى بعض الأوقات دون البعض بل فى كل الأوقات ، كما يقول[١٩] فى زمان حياته بأسره ، فما يحدث بالاتفاق لا يكون جميلا ولا يؤدى إلى سعادة حقيقية ، ويقرر الفارابى أن الكمال هو الغاية الأصلية التى يتشوق اليها الانسان فى تطلعه نحو حياة أكثر سعادة وسلامة ، لكن فى رأى الفارابى أن كل هذا ليس سعادة ، حتى الأفعال الجميلة ليست كلها تنال السعادة بها فالأفعال الجميلة قد يمكن أن توجد للانسان بالاتفاق أو بأن تُحمل عليها

من غير أن يكون فعلها طوعاً واختياراً ، والسعادة ليست تنال بالافعال الجميلة متى كانت عن الانسان بهذه الحال [١٨].

من هنا يضع الفارابى شرطا مهما كى يكون الفعل جميلا فى ذاته ، هذا الشرط أن يكون الانسان قد فعله طوعا مختاراً له ليس فى بعض الأوقات دون البعض بل فى كل الأوقات ، كما يقول[١٩] فى زمان حياته بأسره ، فما يحدث بالاتفاق لا يكون جميلا ولا يؤدى إلى سعادة حقيقية ، ويقرر الفارابى أن الكمال هو الغاية الأصلية التى يتشوق اليها الانسان فى تطلعه نحو حياة أكثر سعادة وسلامة ، لأن السعادة الحقيقة هى آثر الخيرات ، باعتبار أنها تُطلب لذاتها لا لشئ أخر يتوسل به اليها، فاللذة مثلا ليست هى السعادة ونحن دائما إنما نتحرى أكثر اللذات التى تتبع المحسوس ونظن أنها هى غاية الحياة وكمال العيش من قبل اصطناعنا لها من أول وجودنا.

فالسعادة أمر مهم بالنسبة للانسان وهذا لا يتأتى إلا بالاجتماع ، وبالتالى يكون الاجتماع أمراً ضروريا فى الانسان وفى كثير من أصناف الحيوان ، وينشأ عن هذا الاجتماع ما يسمى بالدولة او المدينة ، فالمدينة هى جماعة كبيرة من الناس تقطن وتستقر في بقعة معينة من الكرة الأرضية وتخضع لحكومة منظمة تتولى المحافظة على كيان تلك الجماعة[٢٠].

معنى هذا ان الدولة تنمو نمواً طبيعياً ، جاء نتيجة رغبة الأفراد فى هذا الاجتماع ، ولم يكن بواسطة تعاقد رسمى ، فالدولة او المدينة

هى أول تنظيم سياسى تدعو اليه الطبيعة ، دعائمه انسجام الرغبات الخاصة والارادات الفردية وتوازن الميول والمصالح الذايتة [٢١].

بيد أن هناك اختلافا فى المدن ، فليس كلها نوع واحد ، وهذا ماذهب اليه الفارابى ، حيث قسم المدن إلى ما اسماها اجتماعات انسانية كاملة وكذلك هناك ما يسمى بالاجتماعات الإنسانية غير الكاملة وتنقسم الجماعات الكاملة إلى ثلاثة أقسام:

١. اجتماعات إنسانية عظمى: وهى اجتماعات الجماعة كلها فى المعمورة أو ما يسميها باجتماع أمم كثيرة تجتمع وتتعاون.

٢. اجتماعات إنسانية وسطى: وهى إجتماع أمة فى جزء من المعمورة.

٣. اجتماعات إنسانية صغرى: وهى اجتماع أهل مدينة فى جزء من مسكن أمة ، ويرى الفارابى فى كتابه السياسة المدينة أن المدينة هي أول مراتب الكمال.

أما المجتمعات غير الكاملة أو الناقصة فهى ثلاثة أنوع أيضا:

١. اجتماع أهل القرية أو اجتماع أهل المحلة.

٢. اجتماع فى سكة.

٣. اجتماع فى منزل.

وهذه الاجتماعات منها ما هو أنقص جداً وهو الاجتماع المنزلى وهو جزء للاجتماع فى السكة ، والاجتماع فى السكة هو جزء للاجتماع فى المحلة ، وهذا الاجتماع هو جزء للاجتماع المدنى ، هكذا نجد

الفارابى يبدأ بالأكثر كمالاً ثم الأقل كمالاً ، وكل خادم لما فوقه ، فالاجتماعات فى المحال والاجتماعات فى القرى كلتاهما لأجل المدينة ، غير ان الفرق بينهما أن المحال أجزاء للمدينة ، والقرى خادمة للمدينة ، والجماعة المدنية هى جزء للأمة ، والأمة تنقسم مدنا [٢٢].

والجماعة الانسانية الكاملة على الإطلاق تنقسم أمما وتختلف الأمم بعضها عن بعض ويرجع ذلك الاختلاف لأسباب ثلاثة:

أولا: تختلف بالخلق الطبيعية.

ثانيا: تختلف بالشيم الطبيعية.

ثالثا: تختلف باللسان أى باللغة.

ويرجع هذا الاختلاف (الاختلافات الثلاث السابقة) إلى مجموعة من العوامل منها:

١- إختلاف أجزاء الاجسام السماوية التى تسامتهم من الكرة الأولى ثم كرة الكواكب الثابتة ، ثم اختلاف أوضاع الأكر المائلة من أجزاء الأرض وما يعرض لها من القرب والبعد.

٢- أختلاف أجزاء الأرض التى هى مساكن الأمم ، فإن هذا الاختلاف إنما يتبع من أول الأمر اختلاف ما يسامتها من اجزاء الكرى الأولى.

٣- اختلاف البخارات التى تتصاعد من الأرض ، فكل بخار حادث من أرض فأنه يكون مشاكلا لتلك الأرض .

٤- اختلاف الهواء والمياه ، وهذا الاختلاف مرتبط باختلاف البخار.

٥- إختلاف ما يسامتها من كرة الكواكب الثابتة واختلاط الهواء واختلاف المياه.

لكن كيف لهذه الاختلافات أن تؤدى إلى الاختلاف بين الأمم؟ يرى الفارابى أن كل هذه الاختلافات يتبعها إختلاف النبات واختلاف أنواع الحيوان غير الناطق ، فتختلف أغذية الأمم التى منهم يتكون الناس الذين يخلقون الماضين ، ويتبع ذلك اختلاف الخلق والشيم الطبيعية [٢٣].

ولكن إذا كان هناك إختلاف بين الأمم فما هى أفضلها عند الفارابى؟

إن أفضل المجتمعات عند الفارابى هى المجتمعات الكاملة ، لكن ما يثير العجب والدهشة أن الفارابي عندما تحدث عن الاجتماع الكامل وقسمه تقسيمات ثلاث كما سبق أن أوضحنا إلا أنه لم يتحدث إلا على اجتماع المدينة وأغفل النوعين الأولين الأكثر كمالا (اجتماع العالم واجتماع الأمة) ، بل أنه بهذين النوعين من الاجتماعات الإنسانية تميز على غيره من الفلاسفة السابقين عليه وكما يقول الدكتور على عبد الواحد وافى: أنه لم يذكرهما أحد من قبله من فلاسفة اليونان الذى اغترف منهم فلسفته كأفلاطون أرسطو ، ولم يفكروا إلا فيما كان يقع تحت مشاهدتهم وهى الدويلات الصغيرة التى تتألف كل دولة منها من مدينة وتوابعها [٢٤] ، وعلى الرغم من ذلك تركهما ولم يتحدث عنها ووقف على المدينة.

ولكن قد نجد مبرراً لهذا الإغفال من جانب الفارابى ، فهو يرى أن اجتماع العالم كله على الصورة التى ذكرها هو اجتماع مثالى يحلم به ويتمناه ، فهو حلم بالدولة الإسلامية العالمية [٢٥] فالإسلام لم يكن مجرد

عقائد دينية فردية ، إنما استوجب إقامة مجتمع مستقل له اسلوبه المعين في الحكم وله قوانين وانظمته كما قال جب ، وهذا ما أكد عليه الايطالى نيلينو بقوله! لقد أسس محمد فى وقت واحد دينا ودولة ، فالإسلام لم يأت بالعقيدة الدينية الصحيحة وحدها ولا بالنظام الاخلاقى المثالى الذى يقوم عليه المجتمع فحسب ، بل جاء بالشريعة المحكمة العادلة التى تحكم الانسان ومعاملاته فى نفسه ومع الأخر ، لذلك هو دعوة عالمية وفيها تخضع المعمورة كلها تحت حكومة واحدة ، هذا الفهم لحقيقة الدين الإسلامي شجع الفارابي على إقامة تصور لدولة عالمية لكنه حلم عسير المنال فتركة واتجه إلى ما يمكن تحقيقه بالاضافة الى اهتمام الفارابى بالمدينة هو اهتمام بالنواه الأول وحجر الأساس لهذا النوع من المجتمعات الكاملة ، فبصلاحها تصلح هذه المجتمعات ،لكن كيف يكون صلاح الدولة أو المدينة؟

فالجواب عن ذلك إن صلاح الدولة يجب ان يقوم على عاملين فى غاية الأهمية: أولهما الفضائل ، والثانى الصناعات ، لكن ما هى تلك الفضائل التى تحفظ صلاح الدولة؟ إن الإنسان خلق وكُوّن بشكل ما كى يصل الى غاية قصوى وهى الكمال وهو الذى يحقق السعادة والصلاح ، ولكى يتحقق ذلك ويصل إلى هذه الغاية يرى الفارابى أنه يحتاج إلى مبادئ نطقية عقلية يسعى الإنسان لها نحو ذلك الكمال ، ويفحص جميع الأشياء التى بها يبلغ الإنسان ذلك الكمال إذ ينتفع فى بلوغها وهى الخيرات والفضائل والحسنات ويميزها عن الأشياء التى تعوقه عن بلوغ ذلك الكمال وهى الشرور والنقائص والسيئات(٢٦).

وإذا كانت هناك مدينة تُعد فاضلة ، وتكـــون كذلـــك لالتزامهـــا بالفضائل ، فهل هناك فضيلة الفضائل ، أى فضيلة تؤم جميع الفضـــائل ويمكن اعتبارها الفضيلة الكاملة؟ وإذا كانت الإجابة بنعم ، فما هى تلـــك الفضيلة ؟ وهل هى فضيلة واحدة او عدة فضائل أم مجمـــوع الفضـــائل كلها مجتمعة تمثل هذه الفضيلة؟

يجيب الفارابى على هذا كله بأن تلك الفضيلة هى الفضيلة التـــى إذا أراد الإنسان أن يوفى أفعالها لم يمكنه ذلك إلا باستعمال أفعال ســـائر الفضائل كلها ، فإن لم يتفق ان تحصل فيه هذه الفضائل كلها ، حتـــى اذا اراد ان يوفى افعال الفضيلة الرئيسة استعمل افعال الفضائل الجزئية فيه ، كانت فضيلته الخلقية تلك فضيلة تستعمل فيها أفعال الفضائل الكائنة فى كل من سواه من أمم أو مدن ، فهذه الفضيلة هى الفضيلة الرئيسة. هـــل هذه الفضيلة الرئيسة هى الفضيلة الفكرية أم ماذا تكون؟

يذهب الفارابي إلي أن الفضيلة التي ترأس كل الفضـــائل هـــي الفضيلة النظرية ، والفضيلة الفكرية الرئيسه تابعة للفضيلة النظرية[٢٧].

وإذا كان الفارابى قد ذهب إلي ما أسماه بالقوة الفكرية واعتبرها رئيسة ، كذلك نجد أبا حيان التوحيدى فى الهوامل والشوامل يؤكد قـــول الفارابى حيث ذهب إلى ان للانسان شيئا هو بمنزلة الرئيس وهو القـــوة المميزة التي تضع الأمور فى مواضعها.

هذه القوة الفكرية لابد وأن تكون خيرا فى ذاتها وليســـت خـــيراً مظنونا أو أن يستنبط بها ما نظنه خيرا وهو شر فليست هـــذه فضيلـــة فكرية ، بل ينبغى أن نسميها اسما أخر ، وكما يقول الفارابى: إذا كـــانت

القوة النظرية التى يستنبط بها ما هو انفع فى المظنونة أنها خيرات كانت حينئذ تلك القوة مظنونا بها أنها فضيلة فكرية وفى موضع أخر يقول: ليست هى فضيلة فكرية بل ينبغى أن تسمى باسم أخر[٢٨] ، إذن هناك ما يسمى بالفضيلة النظرية وايضا الفضيلة الفكرية ، ليس هذا فحسب هو كل الفضائل ، بل توجد ايضا الفضيلة الخلقية وهى أيضا تتلازم مع الفضيلة الفكرية [٢٩]. بالاضافة الى تلك الفضائل السابقة التى تحفظ صلاح المدينة وتحقق سعادتها يوجد ايضا الصناعة العملية العظمى [٣٠].

والفضائل النظرية هى العلوم المختلفة التى تستهدف المعرفة بالموجودات وهى قسمان! علوم فطرية بديهه وأخرى تحصل بالتأمل والفحص والاستنباط والتعليم والتعلم والعلوم ثلاثة: رياضية وطبيعية والهية ، والفضائل الفكرية نافعة فى تحصيل الغايات التى ينصبها الانسان أمام عينه ، ثم يسعى إلى تحقيقها ، وبمقدار ما كانت الغايات نافعة جميلة كانت الوسائل نافعة جميلة كذلك ، والسبيل إلى تحصيل النافع والجميل والأنفع والأجمل فى الأفكار وفى الصناعات العملية التى بها يقوم العمران فى الأمم هو التحلى بالفضائل الخلقية [٣١]

اختيار الرئيس [٣٢]:

وكما سبق أن أشرنا إلى ان الفارابى وضع فضائل أربع تحفظ صلاح المدينة وأيضا صلاح الانسان ، فهل أى أنسان يمكن أن تتوافر له هذه الفضائل؟

الحقيقة أن الفارابى فى هذه المسألة كان متأثراً إلى حد بعيد بأفلاطون ، فهذه الفضائل إنما تذهب لمن هو أهلاً لها بالطبع وكما يقول

[٣٣]! فالفضيلة النظرية، والفضيلة الفكرية العظمى ، والفضيلة الخلقية العظمى ، والصناعة العملية العظمى إنما سبيلها أن تحصل فيمن أعد لها بالطبع ،فكلٌ لابد أن يرضى بما هو عليه ، وهنا تبرز اهمية الفطرة عند المعلم الثانى حيث يقسم الناس حسب الطبائع إما ملوك وإما خدم ، وهذا ما أكد عليه أفلاطون من قبل حين قال كلكم اخوان فى الوطنية ، ولكن الله الذى جبلكم ، وضع فى طينة بعضكم ذهبا يمكنهم من أن يكونوا حكاماً ، ووضع فى جبلة المحاربين فضة ، وفى جبلة العمال والزراع وضع نحاسا وحديداً ، ولما كنتم متسلسلين بعضكم من بعض فالأولاد يمثلون والديهم [٣٤] فكل ميسر لما خلق له وطبيعته جبلته على هذا ، فيكون ابن المالك ملك وابن الخادم خادم فلا تحصل الفضيلة العظمى إلا فيمن أُعد لها بالطبع ،والمعد لها بالطبع هو أفضل أهل زمانه وأقدرهم على تعلم الناس وتأديبهم ، ويؤكد على ذلك بقوله [٣٥]: الملك او الأمام هو بماهيته وبصناعته ملك أو إمام ، سواء وجد من يقبل منه أو لم يجد ، أطيع او لم يُطع وجد قوما يعاونونه على غرضه أو لم يجد ، كما أن الطبيب طبيب بمهنته وبقدرته على علاج المرض وجد مرض أو لم يجد، وجد آلات يستعملها أم لم يجد.

وتتضح فكرة التدرج عند الفارابى حين يذهب إلى أن من أعدوا أو جبلوا على طبيعة معينة فليسوا سواء ، بل جعل داخل كل جنس منهم تدرج ، فهناك من هو أفضل من الأخر داخل الجنس الواحد نتيجة تميزه على غيره ويؤكد على هذه الفكرة فى السياسة المدنية بقوله [٣٦]: الناس يتفاضلون بالطبع فى المراتب بحسب تفاضل مراتب أجناس الصنائع والعلوم التى أعد بالطبع نحوها ، ثم الذين هم معدون بالطبع نحو جنس

ما يتفاضلون بحسب تفاضل أجزاء ذلك الجنس ، فان الذين هم معـــدون لجزء من ذلك الجنس أخس دون الذين هم معدون لجزء منه أفضل ، ثم أهل الطبائع المتساوية يتفاضلون بعد ذلك بتفاضلهم في تأدبهم بالأشـــياء التى هم نحوها معدون ، حتى إذا تساوو فى هذا التأدب فان هنـــاك مـــا يميز بعضهم على بعض وهو قدرتهم على الاستنباط فمن لديـــه القـــدرة على الاستباط اكثر من غيره الذى لديه القدرة على الاستنباط أقل فهـــو أفضل منه وهو رئيس على غيره ، هكذا يستمر التمايز بين أفراد الجنس الواحد ، فالذين تأدبوا بأفضل ما فى ذلك الجنس رؤساء على الذين تأدبوا بأخس ما فى ذلك الجنس ، فيشترط أن يكون فائق الطبع ، متأدب بكل ما أعدله بالطبع.

إذا كانت الغاية القصوى أو غاية الغايات من وجـــود الانســـان بلوغه السعادة القصوى، تلك السعادة التى إذا حصلت لنا لم نحتج بعدهـــا أن نسعى لغاية ما أخرى غيرها [٣٧]. لأنها تطلب لذاتها ، فان الوصـــول إلى هذه السعاة يحتاج إلى أموركثيرة على الانسان أن يعلمها وهى:

١. أن يعلم حقيقة السعادة ويجعلها غايته.

٢. أن يعلم الأشياء أو الوسائل التى تساعده لنيل السعادة.

٣. أن يعمل تلك الأعمال ، أى يعمل بما علم.

لكن وكما يرى الفارابى متبعا فى ذلك نزعته الشيعية[٣٨] يؤكـــد على أن الانسان لا يستطيع أن يعلم شئ بمفرده فيقول[٣٩] :ليـــس فـــى فطرة كل انسان أن يعلم من تلقاء نفسه السعادة ، ولا الأشياء التى ينبغى

أن يعلمها ، بل يحتاج فى ذلك الى معلم ومرشد. لكن هل فى قـــدرة أى انسان ان يُعلم غيره؟

يجيب الفارابى بالنفى ، فليس فى قوة كل انسان أن يرشد غيره ، ولا أيضا فى قوة كل انسان أن يحمل غيره على هذه الأشياء ، ومثل هذا الانسان الذى لا يملك قدرة أن ينهض غيره نحو شئ من الأشياء ، بل له القدرة فقط على أن يكون منقاداً أن يفعل ما يُرشد إليه ، فهذا الإنسان لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يكون رئيسا ، بل هو مرؤوســـا ، أمـــا العكس من ذلك وهو الشخص القادر على أن يُرشد ويُعلـــم فهـــذا هـــو الرئيس فى ذلك الجانب ، لذلك فالرئيس قد يكون رئيسا ومرؤوسا فى آن واحد ، وهذا الرئيس يكون رئيسا ثانياً واذا كان هناك رئيسا ثانيا فلابـــد أن يكون هناك رئيسا على الاطلاق أو رئيسا أولاً.

رئيس المدينة:

ومما سبق بين لنا الفارابى ضرورة الرئاسة فى كل أمر وفى كل صنعة ليس هذا فحسب بل هو أمر ارتضاه علماء السياسة أيضا ، فلابد لاستقامة الأمر فى أى أمة متمدينة مهما كان معتقدها ومهما كان جنسها ولسانها من حكومة تباشر شئونها ، ولابد من أقامة حاكم أعلى للأمة [٤٠] ، فأهم وظيفة فى المدينة وأكبرها خطرا هى وظيفة الرئيس ويرجع ذلك إلى ان رئيس المدينة هو السلطة العليا التى تستمد منها جميع السلطات ، وهو المثل الأعلى الذى ينظم جميع الكمالات [٤١] فهـــو مصـــدر حيـــاة المدينة وقوام نظامها فهو الذى يحفظ الدين والدنيا ويوصل شـــعبه الـــى الفوز بالسعادة فى الدنيا والآخرة .

ويؤكد الغزالى(ت٥٠٥هـ) على ذلك فيقول: نظام الدين لا يحصل الا بنظام الدنيا ، ونظام الدنيا لا يحصل إلا بامام مطاع ، ان الدنيا والأمن على الأنفس والأموال لا ينتظم الا بسلطان مطاع فتشهد له مشاهدة اوقات الفتن بموت السلاطين والأئمة ، وأن ذلك لو دام ولم يتدارك بنصب سلطان أخر مطاع دام الهرج وعم السيف وشمل القحط وهلكت المواش وبطلت الصناعات ولم يتفرغ أحد للعبادة. (٤٢)

لهذا قيل الدين والسلطان توأمان ، فالدين أس والسلطان حارس ، وعلى الجملة لا يتمارى العاقل فى أن الخلق على اختلاف طبقاتهم وما هم عليه من تشتت الأهواء وتباين الأراء لو خلوا ورائهم ولم يكن لهم رأى مطاع يجمع بشتاتهم لهلكوا، فبان ان السلطان ضرورى فى نظام الدنيا، ونظام الدنيا ضرورى فى نظام الدين ونظام الدين ضرورى فى الفوز بسعادة الأخرة. وهذه هى الغاية التى من أجلها كان الانسان ، فالفوز بالسعادة القصوى هو غاية الغايات.

ويوضح الفارابى أهمية الرئيس بالنسبة للمدينة من خلال تشبيه للمدينة بجسم الانسان ، فالرئيس بالنسبة للمدينة بمثابة القلب الذى هو أهم عضو بالنسبة لجسم الانسان، فالمدينة الفاضلة تشبه البدن التام الصحيح الذى تتعاون أعضاؤه كلها على تتميم حياة الحيوان وعلى حفظها عليه ، وكما أن البدن أعضاؤه مختلفة متفاضلة الفطرة والقوى وفيها عضو واحد رئيس هو القلب ، وأعضاء تقترب مراتبها من ذلك الرئيس ، وكل واحد منها جعلت فيه بالطبع قوة يفعل بها فعله ابتغاء لما هو بالطبع غرض ذلك العضو الرئيسى (٤٣)، فكما أن أجزاء الجسم الحى تختلف فيما بينها وتنتظم تحت رئاسة القلب فلابد وأن يكون الأمر على هذا

النحو فى المدينة ، وكما أن القلب ينظم سائر الأجزاء ويوجهها كذالك رئيس المدينة يجب أن يكون هو المركز الذى ينظم ويوجه أفراد المدينة فهو رجل حقق إنسانيته بشكل كامل[٤٤] ولما كانت الدولة شبيهه بجسم الانسان كانت بحاجة إلى حاكم وإلى جماعة من الموظفين تحكى ما فى الجسد من قلب رئيس وأعضاء رافده له على التوالى [٤٥]

ويرتب الفارابى أعضاء المدينة ترتيبا هيراركيا من الأعلى الى الأدنى ، والأدنى يخدم الأعلى منه ويتطلع اليه ، وكلما اقتربت الأعضاء من الرئيس كانت أعمالها أشرف وكلما بعدت عنه كانت أعمالها اخس ، ينطبق هذا على البدن وأعضائه وقربها وبعدها من القلب ، كذلك على رئيس المدينة وقرب الأعضاء وبعدها عنه.

ويستمر الفارابى فى عقد تشابه بين ترتيب أعضاء المدينة وسائر الموجودات كلها وكما يقول [٤٦]: فان السبب الأول نسبة إلى سائر الموجودات كنسبة ملك المدينة الفاضلة إلى سائر أجزائها ، فإن البريئة من المادة تقرب من الأول ودونها الأجسام السماوية ودون السماوية الأجسام الهولانية ، وكل هذه تحتذى حذو السبب الأول وتأمه وتقتفيه ، ويفعل ذلك كل موجود بحسب قوته ، فالأخس يقتفى ما هو فوقه قليلا ، وذلك يقتفى غرض ما هو فوقه إلى أن تنتهى إلى التى ليس بينهما وبين الأول واسطة أصلا ، فعلى هذا الترتيب تكون الموجودات كلها تقتفى غرض السبب الأول كذلك ينبغى أن تكون المدينة الفاضلة فإن أجزاءها كلها ينبغى أن تحتذى بأفعالها حذو رئيسها الأول.

ومعنى هذا كله أن المدينة الفاضلة هى المدينة التى ترتبت أعضاؤها على صورة شبيهه بترتيب الموجودات فلكى تحصل المدينة الفاضلة على سعادتها لابد أن ترتب وتنظم كترتيب الموجودات [٤٧]

هكذا نجد المدينة عند الفارابى مترابطة الاجزاء فهى كالبدن اذا اشتكى فيه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى فالألم الذى يحس به أحد أفراد المجتمع لابد أن يعدوه إلى الأخرين وبالتالى السرور الفردى لا يصح أن يعرف فى مجتمع صالح[٤٨].فليس هناك لى ولك ، ولكن كل ما هناك هولنا والخير للجميع ، ووجه الشبه بين المدينة والبدن فى ان كليهما وحدة حية مكونة من أجزاء وكل جزء له وظيفته المنوط بها وتختلف الأجزاء تبعا لها ، وتختلف الوظائف فى المدينة وفى جسم الانسان ولكن جميعهم وحدة واحدة.

رئيس المدينة:

ولكن من سيكون رئيس المدينة؟ هل يمكن ان يكون أى انسان كيفما اتفق؟ إذا كان القلب هو أهم عضو فى البدن ، فكذلك الرئيس هو أهم عضو والسبب الأول فى المدينة ، فرئيس المدينة هو اكمل أجزاء المدينة فيما يخصة وله من كل ما تشارك فيه غيره أفضله [٤٩] فهو الإمام وهو الرئيس الأول للمدينة الفاضلة والأمة الفاضلة والمعمورة الفاضلة ، فليس فى وسع أى إنسان أن يكون رئيسا فالملوك انماهم ملوك ليس بالإرادة فقط بل بالطبيعة [٥٠] ، وعلى هذا تكون الرئاسة فى مفهوم الفارابى بشيئين[٥١]

احدهما: أن يكون بالفطرة والطبع معدا لها.

ثانيهما: بالهيئة والملكة الإرادية.

وقد عقد الفارابى فصلا فى كتابه أراء أهل المدينة الفاضلة بعنوان (القول فى خصال رئيس المدينة الفاضلة) تحدث فيه عن الخصائص التى يجب توافرها فى الرئيس كى تكون المدينة فاضلة ، لأن الرئيس هو الاساس فى صلاح المدينة وجعلها فاضلة وهذه الخصائص تنقسم إلى ما هو بالطبع أى فطر عليها وطبع عليها ، والأخرى تكون مكتسبة.

أ- الخصائص التى بالطبع: (٥٢)

الأساس فى صلاح المدينة وجعلها فاضلة لابد أن تتوافر فيه اثنتا عشرة خصلة هى:

١. أن يكون تام الأعضاء حتى يستطيع مباشرة الأعمال.
٢. أن يكون جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له.
٣. أن يكون جيد الحفظ لما يفهمه ، وما يراه ، وما يسمعه ، وما يدركه ولا ينساه.
٤. أن يكون جيد الفطنة ذكيا ، إذا راى الشئ بأدنى دليل فطن له.
٥. أن يكون حسن العبارة يؤاتيه لسانه على إبانة كل ما يضمر إبانه تامة.
٦. أن يكون محبا للتعلم والاستفادة منقاداً له سهل القبول لا يؤلمه تعب التعليم ولا يؤذيه الكد الذى يناله.
٧. أن يكو ن غيره شره على المأكول والمشروب والمنكوح.

٨. أن يكون محبا للصدق وأهله مبغضا للكذب وأهله.

٩. ان يكون كبير النفس محبا للكرامة.

١٠.أن يكون الدرهم والدينار وسائر أعراض الدنيا هينة عنده.

١١.ان يكون محبا للعدل وأهله مبغضا للجور والظلم وأهلها.

١٢.أن يكون قوى العزيمة على الشئ الذى يرى أنه ينبغى أن يفعل جورا عليه.

ب- الخصائص المكتسبة:-

هناك خصائص أخرى يكتسبها هذا الانسان (الرئيس) بعد الكبر وهى كما يقول ست شرائط :

١- ان يكون حكيما.

٢- أن يكون عالما حافظا للشرائع والسنن والسير.

٣- ان يكون له جودة استنباط فيما لا يحفظ عن السلف فيه شريعة ويكون محتذيا فيه حذو الأئمة الاولين .

٤- ان يكون له جودة روية وقوة استنباط لما سبيله أن يعرف فى وقت من الأوقات الحاضرة من الأمور والحوادث التى تحدث مما ليس سبيلها ان يسير فيه الأولون ويكون متجربا بما يستنبطه من ذلك صلاح المدينة.

٥- ان يكون له جودة إرشاد بالقول إلى شرائع الأولية.

٦- أن يكون له جودة ثبات ببدنه فى مباشرة أعمال الحرب، وذلك أن يكون معه الصناعة الحربية الخادمة والرئيسة.

والسؤال الذى يطرح نفسه هل كل الصفات السابقة تمثل الشروط التى يجب أن تتوافر فى الرئيس؟

الجواب عن ذلك أنه على الرغم من أن هذه الشروط التى اشترطها الفارابى فى رئيس المدينة صعبة التحقق ، إلا أننا نجده وقد أضاف شرطا أخر أكثر صعوبة وتعقيداً بل ويجعلها عسيرة المنال ، فقد ذهب إلى ضرورة أن يتصل هذا الانسان بالعقل الفعال[٥٣].

إن مثل هذا الرجل الذى تتوافر فيه كل هذه الصفات الجسمانية والأخلاقية لابد أن يكون رئيسا للمدينة الفاضلة وللأمة وللانسانية الفاضلة، وتبعا لذلك فقد اختلف الفارابى عن أفلاطون أختلافا واضحا ، فرئيس المدينة الفاضلة يختلف عن الرئيس في جمهورية أفلاطون، لقد أعطى الفارابى لرئيسه طابعاً إسلاميا ، فهو يتصل بالوحى ، الأمر الذى جعل دى بور يذهب الى القول: بأن الفارابى يصف أميره بكل فضائل الانسانية وكل فضائل الفلسفة فهو أفلاطون فى ثوب النبى محمد[٥٤]، وهذا ما أكد عليه محسن مهدى حين ذهب إلى القول بأن الفارابى حاول التوفيق بين الفلسفة السياسية الكلاسيكية القديمة وبين الاسلام كدين أوحى به إلى النبى محمد (ص)[٥٥].

لكن إذا كانت الشروط السابقة التى حددها الفارابى قد لا نجدها تتوافر فى شخص واحد لذلك فقد ذهب الفارابى بامكانية أن يكون هناك أكثر من رئيس[٥٦].

الحكمة اساس الحكم الفاضل:

هكذا قرر المعلم الثانى إمكانية أن يكون للمدينة الفاضلة أكثر من رئيس ، فلا ينفرد بالحكم إلا من كان أهلا له صالحا تتوافر فيه كل الشرائط، وإلا سيكون أكثر من رئيس بشرط أن يكونوا متلائمين، وأن تتوافر في واحد منهم الحكمة ، فالحكمة شرط أساسي لكى يكون الحكم صالحا وتكون المدينة فاضلة ، أما اذا لم تتوافر فيهم الحكمة فكأن المدينة بلا ملك ، والقائم عليها ليس ملكا ، وتصبح المدينة مهددة بالهلاك إلى أن تُهلك فالحكمة الشرط الأساسى فى الرئاسة ، لأن الحكيم إلهى ، والالهى هو الذى يصلح لأن يكون سائسا للناس ، فلكى يكون الانسان الهيا لابد أن يكون حكيما وكما قال أفلاطون [٥٧] : لما لم يجز أن يكون حافظ البقرة بقرة ، ولا راعى الغنم شاه ، ولم يجز أن يكون معلم الجهال جاهل، وكان من اللازم أن يكون رئيس البشر بشراً وسائس الناس انسانا.

وكان من الواجب أن يكون السائس الهيا، والالهى هو الحكيم ، والحكيم هو العالم بالأمور الالهية وبالأمور الإنسية ، فليس يكفى أن يكون عالما فقط لكن الواجب أن يكون راسخا في الحكمة.

أهمية الحاكم:

يتوقف كون المدينة فاضلة أو فاسدة على حاكمها ، فاذا كان الحاكم عالما بقواعد الخير كانت المدينة فاضلة وإذا كان جاهلا به كانت المدينة ضالة وفاسقة ، ولهذا قال أفلاطون [٥٨]: الجهل فى الملوك أكثر

ضررا منه فى العوام ، فلابد لأهل المدينة من رئيس أديب ، وسياسة مرضية ، ليجرى أمورهم على استقامة.

ولهذا الرئيس مهمة ترتيب الطوائف ، وكل انسان من كل طائفة فى المرتبة وذلك: إما مرتبة خدمة وإما مرتبة رئاسة ، فتكون هناك مراتب تقرب مرتبته ، ومراتب تبعد عنها قليلاً ، ومراتب تبعد عنها كثيراً وبعد أن يرتب هذه المراتب، فإذا كانت له وصية أو عز بها إلى أقرب المراتب اليه ، ثم من يليهم وهكذا وبذلك ترتبط أجزاء المدينة وتتآلف.

فكل هم الرئيس كما يقول أفلاطون [٥٩] بل اكبر همه صلاح المرؤسين ، وذو القحة لا يشتغل إلا بنفسه ، وحظه فيكون مسخوطا عليه من الألهه ، والمسخوط عليه غير مؤيد كذلك لابد ان يهتم ببطانته واوضح ذلك من خلال مثال طريف فيقول: فليس أضر ولا أبعث على الخجل بالنسبة إلى الراعى من أن يربى ويغذى من أجل حماية قطعانه ، كلابا تدفعهم شراستهم أو جوعهم إلى التعرض بالأذى للماشية فيتحولون من كلاب إلى ما يشبه الذئاب [٦٠] ، فهدف الحاكم تربية المواطنين لتحقيق الخير لهم ، ولا يسمح لفرد أو لطبقة خاصة بالتحكم فى الدولة أو المدينة وإقامتها على أساس شهوة الساطان وإرادة الطغيان[٦١].

هكذا لابد أن يهتم الرئيس بمرؤوسيه أو بشعبه ، عليه ان يعلمهم، فإن الملك هو مؤدب الأمم ومعلمها [٦٢] ، ويجب على الرئيس بماله من قوى وفضائل أن يعلمهم ، وقد حدد الفارابى طريقتين للتعليم إحداهما طريقة خاصة بالفضائل النظرية ، والأخرى خاصة بالفضائل

العملية ، ويفرق الفارابى بين التعليم والتأديب فالتعليم خاص بايجاد الفضائل النظرية فى الأمم والمدن ، أما التأديب فهو طريق لايجاد الفضائل الخلقية والصناعات العملية فى الأمم ، والتعليم قول فقط ، أما التأديب فهو أن تُعود الأمم والمدنيون الأفعال الكائنة عن الملكات العملية بأن تنهض عزائمهم نحو فعها ، والقائم على تعليم العلوم النظرية الأئمة والملوك أو أن يكلف من يتوافر فيه حفظ العلوم النظرية ، وهذا النوع من التعليم (تعليم العلوم النظرية) يخص ما يسميهم الفارابى (الخاصة) وهؤلاء من تكون فيهم الرياسات الجزئية.

وللوصول الى المعرفة بالعلوم النظرية هناك خطوات لابد من الالتزام بها:-

١. أن يعرفوا المقدمات الأول والمعلوم الأول فى جنس جنس من أجناس العلوم النظرية.
٢. أن يعرفوا أصناف وأحوال المقدمات وترتيبها.
٣. يؤخذ بتلك الأشياء بعد أن يكونوا قد قومت نفوسهم قبل ذلك بالأشياء التى تراض بها أنفس الأحداث .
٤. يعودوا استعمال الطرق المنطقية كلها فى العلوم النظرية كلها.

وبهذا يتم لهم تعلم العلوم النظرية ، لكن بشرط أن يبدأ تعليمهم منذ صباهم ،

مراتب أهل المدينة وطرق تعليمهم:-

ربط الفارابى بين طرق التعلم ومراتب أهل المدينة الفاضلة حيث تختلف مراتبهم فى المدينة حسب المعرفة التى يتلقوها وطريقة تعليمها ، ويظهر الفارابى هنا بصورة المربى والعارف بطبيعة البشر، فيرى أن هناك طرقاً تصلح لتعلم العلوم النظرية وأخرى تصلح للفضائل العملية ، كذلك توجد إختلافات بين البشر فى قدراتهم على التعلم وبالتالى توجد مراتب مختلفة لأهل المدينة فليس كلهم على مستوى واحد ، ويفرق الفارابى بين نوعين من طرق التعلم هما:

١. نوع من التعليم لا يكون إلا بالاقناع والتخيل وهو ما يخص العلوم النظرية ، فتعلم العلوم النظرية يكون بالطرق الاقناعية وكثير من النظرية تفهم بطريق التخيل ، وهى التى لا سبيل إلى أن يعقلها الانسان إلا بعد أن يعقل معلومات كثيرة وهى المبادئ القصوى والمبادئ التى ليست هى جسمانية [٦٣]، وهذا كله يليق بما أسماهم الخاصة.

٢. نوع من التعليم لا يكون إلا بالاقناع وإما بالاكراه وهو الخاص بالفضائل العملية، فطريقة الاقناع هى التى تمكن فى النفس هذه الأفعال والملكات حتى يصير نهوض عزائمهم نحو فعلها طوعاً ، لكن قد لا تصلح هذه الطريقة عند بعض المتعلمين الذين أسماهم الفارابى المتمردين المعتاصين من أهل المدن والأمم ، وهؤلاء لا ينهضون للصواب طوعا من تلقاء أنفسهم ولا بالاقاويل ، بل نجدهم تمردوا وخرجوا على ما تلقوه من علوم نظرية ، فهؤلاء

لا يصلح معهم إلا طريق الاكراه في التعلم أى العقـــاب. ويعقـــد الفارابى مشابهة بين رب المنزل ورب المدينة (الحاكم) ، فكما أن رب المنزل يؤدب أهل المنزل فإنه يؤدب بعضهم بالرفق والاقناع ويؤدب بعضهم كرها ، فكذلك الملك ، فإنه يؤدبهـــم مكرهـــا أو طوعا من أجل غاية هامة ، وكما يقول أبو نصر ان كل موجـــود إنما كوّن ليبلغ أقصى الكمال الذى له أن يبلغه بحسب رتبته فـــى الوجود(٦٤).

٣. نوع أخر وهو على قمة الطرق التعليمية وأصحابه هم الحكمـــاء وهم فى أعلى مراتب أهل المدينة الفاضلة ، هذا النوع الذى يعتمد على طرق وبراهين يقينية والذى يحقق السعادة ومن يتبـــع هـــذا السبيل يكون خاصيا. هكذا قدم الفارابى صورة الحاكم كما ينبغى أن يكون لكى تكون مدينته فاضلة.

المواطن:

هذا هو مجتمع المدينة الفاضلة الذى يقوم كل فرد فيه بما أُســـند اليه، ومواطنى هذه المدينة هم الذين يمكن أن يقال عنهم انهم مواطنـــون فضلاء ، لأنه ماذا تعنى المواطنة؟ من معانى المواطنة الانتمـــاء لهـــذه الأرض التى عاش عليها الانسان وتربى فيها ، ولذلك فهذا الانســـان لا يستطيع ان يخرج منها أو يتخلى عنها فالمواطنة تمثـــل علاقـــة الفـــرد بالمكان فهو القاسم المشترك بين الفرد والجماعة فالوطن ليـــس مفهومـــاً بقدر ما هو تجربة حيه هو أول ما ينتمى اليه الانسان قبل الديـــن فهـــو يمثل الذاكرة الجماعية من الطفولة الى الشيخوخة فإذا كان الطائر يحـــن

إلى أوكاره ، فالإنسان أحق بالحنين إلى أوطانه كما قال الجـــاحظ فـــى رسالة الحنين إلى الأوطان، ولذلك عمر الله البلدان بحب الأوطان كمـــا قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه هذا الحب والانتماء والولاء هـــذه المواطنة لهذا البلد (أى كان) أشبه بحب الابن لأمه ورغبته فى الدفـــاع عنها حتى ولو كانت هذه الأم قاسية أو دميمة فهو حب لا يعلـــل كذلـــك الانسان أو المواطن يحب وطنه ويضحى من أجله سواء كان هذا الوطن هواءه عليل أم قارس ، سواء كان حاكمه صالحـــاً او طالحـــاً ، فحـــب الأوطان والانتماء له مغروس فى النفوس ، وقديما قـــدم ســـقراط أروع وأعظم مثالا فى المواطنة ،فعلى الرغم من المعاناه التى عاناها فى حياته بهذه البلد (اثينا) ، والمحاكمة القاسية التى لاقاها، على الرغم مـــن ذلـــك رفض الفرار والهرب من بلده بالرغم من أن الفرصة كانت مهيـــأه لـــه للهرب ، لكن إحساسه المرهف بالوطن وحبه وانتمائه لـــه ، واحترامـــه لقانونه منعه من ذلك هذه هى المواطنة فى أعلى صورها.

وإذا كانت المواطنة هى الشعور بأن قوانين المدينة تسرى بدرجة واحدة على كل المواطنين دون تفرقة فلا أحد فوق القـــانون ، وواضـــع الناموس لابد أن يكون مستعملا له ، فمتى لم يستعمل ما يأمر بـــه ولـــم يلزم نفسه ما يلزمه غيره فلا يجد طاعه ، هذا ما أكـــد عليـــه صولـــون المشرع حين قال [٦٥] : ان خير نظام مستقر للحكم ان يطيع المحكومين الحاكم وأن يطيع الحكام القوانين ، فإذا كان هذا هو أمر المدينة الفاضلة ، فأن ابناءها لابد ان يكونوا فضلاء ويكونوا مواطنين بهـــذا المعنـــى ، ولهذا نجد الفارابى ذهب الى أنه إذا فعل كل واحد من أهل المدينـــة مـــا فوض اليه سواء كان هذا الفعل من تلقاء نفسه أو أن يكون مكلفا به مـــن

قبل الرئيس اكسبته أفعاله تلك هيئات نفسانية جيدة ، كما ان المداومة على الأفعال الجيدة من أفعال الكتابة تكسب الانسان جودة صناعة الكتابة وهى هيئة نفسانية.

كذلك تعمل الأفعال الموجهه نحو السعادة إلى تقوية جزء النفس المعد بالفطرة للسعادة وتصيره بالفعل حتى تستغنى عن المادة وتتخلص منها ،فتحقق سعادته فهؤلاء هم المواطنون الفضلاء الذين تقوم على أكتافهم المدينة الفاضلة حقيقة قد لا نجد تصريحا من الفارابى (فى نصوصه) عن المواطن لكننا يمكن ان نستشف تلميحا منه يؤكد على أهتمامه به، أليس أهتمامه بالحاكم هو فى ذات الوقت أهتماما بالمواطن؟ فعندما يضع الفارابى كل الشروط السابق ذكرها فى أختيار الحاكم فمن الضرورى أنه من تتوافر فيه هذه الشروط يكون حاكما صالحا فاضلا ينتج عنه محكومين أو مواطنين فضلاء ومدينة فاضلة حاكم يراعى مصلحة المواطن وبالتالى يكون الخضوع لمثل هذا الحاكم أمرا ضروريا ومستحبا بل أن طاعته تمثل شعورا بالانتماء ، هكذا لا نجد فصلا بين السياسة والميتافيزيقا عند الفارابى ، لذلك نجد كتابة (أراء أهل المدينة الفاضلة) يبدأه بالحديث عن وجود الله وصفاته وكيفية صدور الموجودات عن الأول فهو يبين أن هذه كلها لابد ان تكون معتقد أهل المدينة الفاضلة ، فالمعرفة الحقيقية بالله لا تتم لنا إلا بصفاء عقولنا إذا تخلصنا من ملامستنا للمادة، وتجردنا من المادة وبذلك يتحقق الاتصال بالعقل الفعال الذى يحقق السعادة القصوى ، التى هى الغاية التى من اجلها قامت المدينة وأُسست على التعاون لكن هل هذه المدينة كل مواطنيها أو كل سكانها فضلاء؟

الحقيقة أن الفارابى على الرغم من أن مدينة يوتوبيا وحاكمها من وحى الخيال إلا أنه فى هذه المسألة كان واقعيا ، فأى مدينة حتى ولو كانت فاضلة نجد فيها من هم ليسوا فضلاء ، وهى فاضلة لأن الأعم الأشمل فيها فاضل ، بالإضافة إلى أن نسبة ضئيلة ليسوا فضلاء.

فيرى الفارابى أن فى المدينة الفاضلة أن فى المدينة نوابت[٦٦]، هؤلاء النوابت منزلتهم فيها منزلة الشيلم فى الحنطة أو الشوك النابت فيما بين الزرع أو سائر الحشائش غير النافعة والضارة بالزرع أو الغرس ، وهؤلاء النوابت أصناف كثيرة منهم:

١- صنف متمسكون بالأفعال التى تنال بها السعادة ، غير أنهم ليس يقصدون بما يفعلونه من ذلك السعادة ، بل شيئا أخر مما يجوز أن يناله الانسان بالفضيلة من كرامه أو رئاسة أو يسار أو غيرذلك ، وهؤلاء يسمون متقنصين .

٢- منهم من يكون له هوى فى شئ من غايات أهل الجاهلية ، فتمنعه شرائع المدينة وملتها من ذلك ، فيعمد إلى ألفاظ ، واضع السنة وأقاويله فى وصاياه فيتأولها على ما يوافق هواه ، ويحسن ذلك الشئ بذلك التأويل وهؤلاء يسمون المحرفة .

٣- كذلك هناك من يسمو بالمارقة وهؤلاء لم يقصدوا تحريفا ، ولكن لسوء فهمه عن قصد واضع السنة ونقصان تصوره لأقاويله يفهم أمور شرائع المدينة على غير قصد واضع السنة ، فتصير أفعاله خارجة عن مقصد الرئيس الأول فيضل.

٤- صنف أخر يكونون قد تخيلوا الأشياء التي ذكرناهـــا ، إلا انهـــم يكونون غير قانعين بما تخيلوا منها فيزيفونها عند أنفسهم وعنـــد غيرهم بأقاويل ويكونوا بما يفعلونه من ذلك غير معاندين للمدينة الفاضلة ، لكن مسترشدين وطالبين للحق ، فمن كان هكذا رفعت طبقته في التخيل إلى أشياء لا تتزيف بتلك الأقاويل التـــي يـــأتي بها، فإن قُنع بما رفع إليه تُرك ، وأن لم يُقنع بتلك أيضا ووقـــف منها معاندا ، ولم يقنع ببعض طبقات التخيل رُفع إلـــى مرتبـــة الحق وفهم تلك الاشياء على ما هي عليه فعند ذلك يستقر رأيه.

٥- ومن النوابت أيضا من هم يُزيفون ما يتخيلونه ، فكلمـــا رفعـــوا رتبة زيفوها، ولو بلغ بهم مرتبة الحقيقة كل ذلك طلبا للغلبة فقط أو طلبا لتحسين شئ أخر يميلون إليه.

٦- ومنهم صنف يتخيلون السعادة والمبادئ وليس في قوة أذهانهم أن يتصوروها أصلا، أو لا يكون في قوة أفهامهم أن يتصورها على الكفاية ، فهم يزيفون ما يتخيلون ، ولا يمكن أن يرفعـــو ا إلـــى طبقة الحقيقة.

ويقول الفارابي عن النوابت في كتابه السياسة المدنية[٦٧]: هؤلاء الاصناف النابتة في خلال أهل المدينة لا تحصل من أرائهم مدينة أصلا ، ولا جمع عظيم من الجمهور ، بل يكونون مغمورين في جملـــة أهـــل المدينة ، والمدينة الفاضلة لا تحوى عنصرا فاسدا واحداً ، والذى يتمثـــل في النوابت ، بل تحتوى أيضا على البهيميين بالطبع من النـــاس وعلـــى الرغم من أنهم ليسوا بمدنين ولا تكون لهم اجتماعـــات مدينـــة إلا أننـــا

نجدهم موجودين كما يقول الفارابى على أطراف المساكن المعمـــورة ، فبعضهم على مثال البهائم الانسية ، وبعضه مثـــل البهـــائم الوحشـــية فبعضهم أمثال السباع وبعضهم يأوى البرارى ، ومنهم من يأوى قـــرب المدينة ، ومنهم من لا يأكل إلا اللحوم النية ، ومنهم من يرعى النبـــات البرى ، ومنهم من يفترس مثل ما يفترس السباع ، وهـــؤلاء ينبغـــى أن يجروا مجرى البهائم ، فمن كان منهم انسيا وانتفع به فى شئ من المدن تُرك وأُستعبد ، وأستُعمل كما تُستعمل البهيمة، ومن كان منهم لا ينتفع به أو كان ضاراً عُمل به ما يُعمل بسائر الحيوانات الضارة[٦٨].

مضادات المدينة الفاضلة:-

إذا كانت هناك مجتمعات كاملة فأول درجات الكمال تظهـــر فـــى المدينة هذا ما أوضحه الفارابى فيما سبق كذلك ذهب الى القول بوجـــود مدن لكنها مضادة للمدينة الفاضلة ، وهى مضادة لأنه اضطـــرب فيهـــا التناسق الأصلى الذى هو السمة المميزة للدولة الفاضلة وتنكرت للسعادة الحقيقة التى كانت غايتها القصوى ودليلها المرشد [٦٩]، هذا سيتضح لنـــا من خلال عرضنا لهذه المدن من وجهة نظر الفارابى.

من هذه المدن ما أسماها الفارابى بالمدينة الجاهلـــة ، والمدينـــة الفاسقة ، والمدينة المتبدلة ، والمدينة الضالة وسوف نتناول كـــلا منهـــا بالتفصيل:

١- المدينة الجاهلة.

هى تلك المدينة التى لا يعرف اهلها السعادة بالمعنى الحقيقى لها ، ولا يعرفون إلا الخيرات المظنونة ، فهم يظنون أنها خـــيرات كســـلامة

البدن واليسار والتمتع باللذات ، فكل واحد من هذه تعد سعادة بالنسبة لأهل الجاهلية وكل هذه مجتمع يمثل السعادة القصوى، هذا هو القول المجمل عن هذه المدينة التى لم يعرفوا أهلها السعادة على حقيقتها بل خدعوا عنها بسعادات زائفة ، وتنقسم هذه المدينة إلى:

أ- المدينة الضرورية:

وهى التى يقتصر أهلها على الضرورى من المأكل والمشرب والملبس والمسكن والمنكوح والتعاون الذى تقوم عليه يكون غايته تحصيل ما سبق ، لكن ما سبق من الحديث عن المدينة الضرورية لا يجعلها جاهلة. فلماذا أعدها الفارابى جاهلة ،ولماذا لم تدخل ضمن المدينة الفاضلة؟

على الرغم من ان اسم المدينة (الضرورية) لا يوحى بأنها ليست فاضلة كشأن أسماء مدن كثيرة سوف نعرضها إلا أننا لو تعرفنا على نشاط المدينة وحاكمها لتبين لنا فسادها ، حيث أن وجوه مكاسب هذه المدينة تتمثل فى الفلاحة والصيد واللصوصية وغير ذلك ، ورئيسهم هو الذى له حسن تدبير وجودة الاحتيال فى ان يستعملهم فيما ينالون به الأشياء الضرورية وحسن تدبير حفظها عليهم ، او الذى يبذل لهم هذه الأشياء من عند نفسه ، ولذلك فهى مدينة جاهلة.

ب- المدينة البدالة [٧٠]:

كان القصد من التعاون بين أهلها بلوغ اليسار والثروة ،

على الرغم من أنهم لا يستفيدون من هذه الثروة لكن غايتهم جمع الثروة ، وعلى الرغم من الثروة إلا أنها تتميز بالشح ، فلا تنفق إلا على

الضرورى مما به قوام الابدان ، وأفضل هؤلاء عندهم أيسرهم وأجودهم احتيالا فى بلوغ اليسار، أما رئيسهم فهو القادر على جودة التدبير لهم فيما يكسبهم اليسار ، واليسار ينال من الفلاحة والرعاية والصيد واللصوصية ، كذلك من المعاملات الارادية كالتجارة.

جـ - مدينة الخسة والشقاوة:-

اذا كانت المدينة الضرورية لا تقصد إلا الضرورى ، فإن مدينة الخسة يقصد أهلها التمتع والشرة باللذة فى المأكول والمشروب والمنكوح ، بمعنى اللذة بكل ما هو محسوس ، وهذه المدينة هى المدينة السعيدة عند أهل الجاهلية ، لأن غرض هذه المدينة إنما يمكنهم بلوغه بعد تحصيل الضرورى، وبعد تحصيل اليسار بالنفقات الكثيرة ، وأفضلهم وأسعدهم من تأتية أسباب اللعب اكثر ، ونال الاسباب الملذة اكثر.

د- مدينة الكرامة :-

هذه المدينة أقرب إلى المدينة الفاضلة ، لكنها ليست فاضلة ، فالغاية من التعاون عند أهلها أن يصيروا مكرمين ممدوحين مشهورين بين الأمم ، فالكرامة مطلب محمود إذا طلب لذاته ، لكن عند مدينة الكرامة لا يفعل لذاته ، بل نجدهم يتقارضوا الكرامة ، وهذا يكون على نوعين إما بالتساوى أو بالتفاضل ، فالتى بالتساوى كأن يبذل أحدهم للأخر نوعا من الكرامة فى وقت ما ، ليبذل له الأخر فى وقت أخر ذلك النوع من الكرامة أو نوعا أخر يساويه فى القوة أما التى بالتفاضل فهى ان يتفاضل احدهما على الأخر فى بذل الكرامة ، كأن يبذل أحدهما نوعا من الكرامة فيبذل له الأخر نوعا أعظم منه ، وهذا التفاضل ليس

بالفضيلة لكن مقياسه عندهم هو اليسار أو مؤاتاة أسباب اللذة واللعب ، فإن أجل ما ينبغى أن يكرم الانسان عليه عندهم ان يكون مشهورا بالغلبة فى شئ أو أشياء ، وأن لا يُغلب ولا ينال مكروهاً ، بل ينال هو غيره بالمكروه إذا أراد ، فإن هذه عندهم حال من أحوال الغبطة ويستاهل بها الانسان الكرامة ، ويستمر الفارابى فى الحديث عن الأنواع المختلفة لهذا التقارض بالكرامة.

ومنها إنهم امتازوا بالشجاعة واستهانوا بالموت ، لأن هذه من آت الغلبة وغيرها من الأسباب التى من خلالها يرتقى الذى يكرم إلى أن يصل الى ان يستاهل كرامة لا يتلاقاها غيره من أهل المدينة ، وبذلك يكون هو الرئيس وهو الذى يوفر لأهل المدينة كل مايرده من اشياء دون ان يتلبس بها ودون ان يطلبها ، مثل ان ينيلهم اليسار

ولايطلب اليسار أو ينيلهم اللذات ، ولا يطلب اللذات بل كل مطلبه الكرامه ، ولهذا فهو أفضل الرؤساء ، ولكى يحقق أغراض مدينته يحتاج الى مال ويسار ، فيدبر لهم هذا الأمر إما بان يأخذ المال من المدينة على سبيل الخراج وأما ان يغلب قوما أخرين ويأخذ أموالهم ويضعه فى بيت ماله ينفق منه على المدينة لينال الكرامة اكثر ويجمع كل الاشياء التى يمكن ان يكرمه الناس عليها ثم يخص لنفسه بأشياء ليست لغيره كالبهاء والزينة والفخامة ، هذه كلها الاشياء التى يهتم بها ويريد أن يستحوذ عليها ، ويسن سنن الكرامات ، ويرتب الناس على مراتب ويسن لكل مرتبة نوعا من الكرامة ، لذلك كان التشابه بين هذه المدينة والمدينة الفاضلة وخاصة أن كل ما يفعله الرئيس لمصلحة الناس فهذه المدن خير

مدن أهل الجاهلية، ولكن اذا أفرطوا فى محبة الكرامة صارت مدينتهم مدينة الجبارين وكانت حرية أن تنتقل الى مدينة التغلب[٧١].

هـ - مدينة التغلب

تلك المدينة القائمة على القوة والقهر ، غايتهم من التعاون أن يكون قاهرين لغيرهم ، ويتفاوت محبتهم فى التغلب ، فبعضهم يحب الغلبة على دم الانسان ، وبعضهم على ماله ، والبعض الأخر يحب الغلبة على نفسه ويستعبده ، فهدفهم الأساسى هو الغلبة والقهر والاذلال ، ورئيسهم أقواهم بجودة التدبير فى ان يستعملهم وأن يغلبوا من سواهم وأجودهم احتيالا واكملهم رأيا فيما ينبغى أن يعملوا حتى يروا غالبين ابداً ، ويكون تفاخرهم إما فى كثرة الغلبة أو فى عظمها ، ويمدد الغلبة وآلاتها تكون إما فى رأى الانسان وإما فى بدنه وإما فيما هو خارج عن بدنه ، غرضهم من كل ذلك الغلبة والقهر والإذلال.

و- المدينة الجماعية أو مدينة الاحرار:

غاية أهلها أن يكونوا أحرارا يعمل كل واحد منهم ماشاء ، لا يمنع هواه فى شئ ، ومن هنا كانوا أحراراً ، فهذه المدينة سنتها أن لا فضل لإنسان على إنسان فى شئ.

٢- المدينة الفاسقة:-

هى تلك المدينة التى أراؤها الأراء الفاضلة ، وهى التى تعلم السعادة والله عز وجل والثوانى والعقل الفعال ، وكل شئ سبيله ان يعلمه أهل المدينة الفاضلة ويعتقدونها ، غير أنهم لم يتمسكوا بشئ من تلك الافعال ومالوا بهواهم وإرادتهم نحو شئ ما من أغراض أهل الجاهلية ،

وأنواع هذه المدن على عدد أنواع مدن الجاهلية لأن أفعالهم أفعال الجاهلية وأخلاقهم ، لكن الفرق بينهما تلك الأفكار التى يعتقدونها.

٣- المدينة الضالة:-

هى مدينة يعتقد أهلها فى الله والثوانى والعقل الفعال آراءاً فاسدة ويكون رئيسها ممن أوهم أنه يوحى إليه ، ويكون قد استعمل فى ذلك المخادعات والغرور ، فالمدن الضالة هى ضالة للتعارض الذى يحدث بين ما تمليه عليه أهواء النفس مثل الشهوه والغضب وبين الجزء الناطق[٧٢].

٤- المدينة المبدلة:

هى المدينة التى كانت أراؤها وأفعالها فى القديم آراء المدينة الفاضلة وأفعالها ، غير انها تبدلت فدخلت فيها أراء غير تلك واستحالت أفعالها إلى إفعال فاسدة.

مصير نفوس أهل المدن:

ربط الفارابى بين حال النفس فى البدن الحاله فيه والمدينة التى ينتى اليها وبين مصير هذه النفس فى الأخرة فبمقدار الفضيلة التى يتحلى بها الانسان بمقدار سعادة نفسه فى الأخرة ، فهذه السعادة ليست على نسبة واحدة ، لأن طبيعة كل نفس تتوقف على الجسد الذى كان مقرها ، ولما كانت الاجساد تختلف باختلاف الأمزجة والتركيب كذلك مصير النفس [٧٣].

فأهل المدينة الفاضلة لاتتعلق نفوسهم بالمادة أو بما هو محسوس، لذلك فهى عندما تفارق البدن فهى تكون فى سعادة ويتحقق لها النعيم لأن كان مطلبها ومقصدها فى الدنيا الاتصال بالعقل والوصول الى السعادة فبذلك تحقق مطلبها وتزداد سعادتها بزيادة أعداد النفوس المماثلة لهم.

أما أهل المدن غير الفاضلة أو المضادة للفاضلة فأفعالهم تكسب نفوسهم هيئات رديئة وتجعل نفوسهم مرضى فلا يعرفون الحقائق ولا يعرفون السعادة الحقة ، ولذلك يلتذون بالهيئات التى يكتسبوها بأفعالهم كما أن مرض الأبدان مثل المحمومين لفساد حسهم يستلزون الاشياء المره ويستحلونها ، ويتأذون بالاشياء الحلوة وتظهر مرة كذلك مرض الأنفس لفساد تخيلهم يستلزمون الهيئات الرديئة ، ومع ذلك فهؤلاء يظنون أنهم أفاضل ولا يستمعون الى مرشد ولا معلم ، فهؤلاء كما قال الفارابى عنهم تبقى أنفسهم هيولانية غير مستكملة استكملا تفارق به المادة حتى اذا بطلت المادة بطلت هى أيضا (٧٤).

ومن خلال أقوال الفارابى فى هذه المسألة يتبين أن هذه النفوس التى فى المدن غير الفاضلة لا بقاء لها بل تفنى بفناء البدن الحالة فيه ، أو تعيش فى عذاب وشقاء دائم فى الحياة الأخرى وذلك لأنه كما سبق أن اوضحنا أن مصير النفس يرتبط بحالها قبل أن تفارق الجسد ، فالنفوس فى المدن غير الفاضلة كانت متعلقة بالبدن ولذاته المادية فكذلك فى الأخرة هى تتحرك شوقا لهذا الجسد ومن هنا كان عذابها.

فنفوس أهل المدينة الجاهلة تكون خلواً من العقل ، وهى تعود الى العناصر لتحدد من جديد بكائنات أخرى من الناس أو الحيوانات الدنيا ،

فإن أنفسهم تبقى غير مستكملة ، بل محتاجة فى قواها الـى المـادة ....، فان اتفق أن تختلط تلك الاجزاء اختلاطا يكون عنه انسان ، عاد فصـار هيئة فى انسان ، وإن اتفق أن تختلط اختلاطا يكون عنه نوع آخر مـن الحيوان أو غير الحيوان ، عاد صورة لذلك الشئ[٧٥] ، فى هذه المسـألة قولا بتناسخ الارواح؟!

فهذه النفوس لا تزال تنتقل من كيان مادى لأخر أقل مـن الأول فتنتقل من انسان الى حيوان حتى تتلاشى[٧٦] ويكون مصيرها الفناء.

أما اهل المدينة الضالة فان الذى أضلهم فهو مـن أهـل المـدن الفاسقة ، فهو وحده سينال العذاب الأليم، أما أهل المدينة الذين اتبعوه فهم يهلكون ويلاقوا ما يلقاه النفوس الجاهلة.

تعقيب :

احتل الفارابى مكانة هامة بين المفكرين والفلاسفة الذين بحثـوا فى السياسة ، وكان لبحث الفارابى فى هذا المجال طابعا خاصا ومتميزاً ، فالفارابى شأنه شأن فلاسفة عصره نجد لديـه خلطـا بيـن الجـانب الفيزيقى والجانب المتيافيزيقى فى فلسفته بشكل عام بما فيهـا الجـانب السياسى ، فمدينته الفاضلة لم تنفصل عن العالم الميتـافيزيقى ، وحـاكم المدينة هو نفسه النبى والفليسوف والإمام الذى يتصل بـالعقل الفعـال ، وكأن الفارابى من خلال هذا يريد ان يبين أنه لا خـلاف بيـن الديـن والفلسفة.

فمحاولة التوفيق بين الدين والفلسفة والتى شغلت فكر فيلسوفنا لم يفلت منها بحثه السياسى فالنبى والفيلسوف والامام كلاهما واحد لافرق

بينهم ، فمصدر المعرفة واحد عندهم ، فجميعهم يتصل بالعقل الفعـــال ، والحاكم هو الانسان الكامل ، من هنا كان اهتمام الفارابي بالحـــاكم دون غيره في المدينة ، حتى إننا لا نجد المواطن واضحا عنده ، واذا كـــانت المواطنة هي مشاركة الفرد السياسية في مدينته فهذا ليس موجوداً عنـــد الفارابي ،

فالمواطن وجميع اجزاء المدينة ينبغي أن تحتذى بأفعالها حـــذو مقصد رئيسها الأول هكذا كانت آراء الفارابي الذي سطرها فـــي كتابـــه آراء أهل المدينة ، فاذا اتبع اهل المدينة رئيسهم كـــان فيـــه صلاحهـــم ويكونوا بذلك مواطنين فضلاء وكانت مدينتهم فاضلة أما اذا خالفوه فكان الهلاك لهم ولمدينتهم.

وعلى هذا كان الاهتمام بالرئيس أو الحاكم واختيار الصفات التى يجب أن يتحلى بها ، لكن لماذا كانت الطاعة أمراً ضروريا من جـــانب المواطن للحاكم؟ لأن الحاكم وحده هو الذى يعرف كيف يحقق الســـعادة القصوى لأهل المدينة وذلك لأنه لا ينطق عن الهوى ، وهنا يظهر الاثر الشيعي عند الفارابى فالوحى لا ينقطع بل هو حبل ممدود من السماء الى الأرض ، فالحاكم ملهم ومتصل بالعقل الفعال وبالتالى فطاعته واجبة .

من هنا نقول لا مكان للفرد أو المواطن الذى يملك قراره لأنـــه تارك كل شئ للحاكم ، إذن لا وجود للمواطن فنحن لا نجد هذه اللفظـــة (المواطن) عند الفارابى، ولا نجدها عند غيره بل نجد رعيـــه والرعيـــه تعنى أن يكونوا خاضعين ممتثلين لأمر الحاكم ، واذا كانت المواطنة هى الانتماء ، فلا نجده فى المدن المضادة للمدينة الفاضلة اللهـــم إلا انتمـــاء

لأهواء وأغراض ومصالح فردية ، وهنا يظهر الفارابى وكأنه واحد من الفلاسفة المحدثين الذين ذهبوا إلى أن البقاء للأقوى ، فهذه هى الفكرة المسيطرة على أهل المدن الفاسدة الضالة الجاهلة ، هؤلاء الذين استمدوا من الطبيعة تأكيدا على فكرتهم ، فالطبيعة مليئة بالموجودات المتضادة ، وكل منها له سلاحه الذى يدافع به عن نفسه ليبقى هو ويقضى على الأخر هذا موجود فى الحيوان، فمن الضرورى أن يكون فى الانسان (الحيوان العاقل المختار)

فما هو موجود فى الطبيعة هو ما يسمى بالعدالة الطبيعة أن يقهر القوى الضعيف ويستعبده وهنا نجد مفهوم العدل قد تغير واصبح فى المدن الفاسدة هو غلبة الأقوى وكما يقول اسبينوزا إن فضيلة القانون الطبيعى هو أن يمرح السمك فى الماء وأن يلتهم السمك الكبير السمك الصغير ، هذه أشياء فى الطبيعة ولما كان ما فى الطبيعة عدلا فالعدل هو التغالب والقهر هكذا تكون المدن الفاسدة.

كما تصورها الفارابى بخياله الواسع ، فهو لم يسجل واقع بقدر ما كان يوضح هول تلك الصورة التى لا ينبغى ان يعيشها الانسان لأنها لا تليق به ، وان كانت تلك الصورة التى استنكرها الفارابى واستاء منها هى الان ليست صورة وانما واقع ، واقعنا الذى نعيشه.

وعلى الرغم من ان الفارابى استقى كثيراً من افكاره السياسة من أفلاطون إلا ان الاثر الاسلامى واضحا عنده ، فعند حديثه عن المجتمعات الكاملة تحدث عن الاجتماعات العظمى التى هى اخضاع العالم كله تحت أمره حكومة واحدة عالمية، وهذا هو الأثر الاسلامى

وحلم الدولة الاسلامية العظمى ، فالاسلام دين عالمى والرسول محمد صلى الله عليه وسلم مبعوث للعالمين، ففكرة الخلافة الاسلامية العالمية كانت تراود الفارابى وهى فكرة لا نجدها عند الفلاسفة السابقين عليه وعلى الرغم من أنها فكرة فارابية خالصة كان عليه أن يقف عندها ويسهب الحديث فيها ، لكنه مر عليها سريعا وكأن لسان حاله يقول أنها لن تتحقق.

الهوامش

(١) د. مصطفى الخشاب:- تاريخ الفلسفة والنظريات السياسية، لجنة البيان العربى سنة ١٩٥٣ ط١،ص٢٠٤،٢٠٥ .

- ولد شيشرون عام ١٠٦ ق م ، كان أفصح اهل زمانه ، وكان احصف خطباء الرومان وأقدرهم وأقواهم حجة وأرجحهم عقلا وكان محاميا بارزاً ، ويعتبر من أوائل نقلة الفلسفة اليونانية الى اللاتينية، ويُعد كتابه (فى الواجبات) أول كتاب فى التاريخ القديم يدافع عن فكرة العدالة حتى بالنسبة للأعداء، ودافع فيه عن مبادئ حقوق الشعوب وضرورة احترامها.

(٢) ميرزا محمد حسين: الاسلام والاشتراكية ترجمة د. عبد الرحمن ايوب مراجعة على أدهم ،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر بدون تاريخ،ص١١،١٥.

- قديما حاول كونفوشيوس إقامة مدينة فاضلة وبالفعل قام بتأسيسها (وهى مدينة لو) لكنها لم تدم طويلا بل سرعان ما انهارت بسبب الطبيعة البشرية، كذلك اخناتون فى مصر القديمة حاول إقامة مدينة اخيتاتون ليُعبد فيها الاله الواحد الأحد كذلك نجد محاولات حديثة لإقامة اليوتوبيا كمحاولة بيكون فى اطلنطا الجديدة ، وتوماس مور فى اليوتوبيا ، وكامبا نلافى دولة الشمس ،هكذا كلما ضاق الانسان بواقعه حلق فى السماء.

(٣) سوف نجد فرقا بين محاولة الفارابى وابن باجة، فالفارابى حلق فى الخيال بمدينته، بينما ابن باجة نجد المتوحد عنده يعيش وسط الناس على الرغم من احساسه بالغربة، إلا انه يتعامل معهم ويعيش وسطهم.

(٤) يذهب ارنست كاسيرر فى كتابة "الدولة والاسطورة" ص ٩٣ الى القول "لن أستطيع أن أقبل بان أفلاطون قد اعتبر الجمهورية اهم مكان للفيلسوف فلو كان المقصود بالجمهورية هو الدولة الدينوية لكان هذا الحكم متناقضا مع ما ذكره افلاطون ذاته فإن مكان الفيلسوف الحق عنده كما هو الحال عند القديس او غسطين هو مدينة الله وليس مدينة الارض.

(٥) أفلاطون: الجمهورية ، ترجمة ودراسة فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٧٤ ،ص٢٣٣أنظر ايضا أميرة مطر الفلسفة اليونانية ،تاريخها ومشكلاتها دار المعارف سنة١٩٨٨

(٦) محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفى الدار القومية للطباعة ، سنة ١٩٦٥،ط٢ج١ص٢٤٨ .

(٧) مصطفى الخشاب: تاريخ الفلسفة والنظريات السياسة، ص ٤٠٥.

(٨) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليوناينة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٨، ط٤، ص١٠٠

(٩) ابراهيم بدكور: فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبقهه ، دار المعارف القاهرة سنة ١٩٨٣،ط٣،ج١ص٧٠ .

(١٠) هناك اختلاف حول اسم هذا الكتاب ، هو السياسات المدنية أم السياسة المدينة؟ لقد ذُكر الاسمان ، لكن هل هما كتابين مختلفين للغارابى ام كتاب واحد يطلق عليه الاسميه وخصوصا أن السياسات جمع السياسة إذن لا إضافة بل هما كتاب واحد ، وما جاء فى كتب التراجكم كطبقات الامم لصاعد الاندلس ، وعيون ألانباء لابن أبى اصيبعة ، وأخبار الحكماء للقفطى ، ووفيات الاعيان لابن خلكان ، وكشف الظنون لحاجى خليفة ، جميعهم لايذكر (السياسات المدينة) إذن الكتاب اسمه (السياسة المدينة) ويطلق عيه اسم (مبادئ الموجودات) ، والسياسة المدينة اسم يتفق مع تصور الفارابى فالانسان عنده حيوان مدنى غير قادر على تحقيق كماله إلا فى المدينة ، وكل ماله علاقة بكال الانسان وسعادته ومن ضمنها العلم الالهى ومبادئ الموجودات يخضع للعلم المدنى . انظر فوزى نجار مقدمه السياسة المدنية ص ١١ : ١٦

(١١) يذهب هنري كوربان إلى أنه من الأفضل أن نطلق على الفلسفة السياسية عند الفارابى أسم فلسفة النبوة ، فأبو نصر لم يكن مطلعا على القضايا السياسية فى عصره ، وأفكاره لم تنطبق على البشر الذين يعيشون على هذه الأرض ، بمعنى أن الفارابى كان محلقا فى الخيال لا صلة له بالواقع وأن أفكاره لا يمكن

أن تتحقق. أنظر تاريخ الفلسفة الاسلامية ترجمة نصير مروة .. راجعة وقدم له الامام موسى الصدر وعارف تامر ،منشورات عويدات بيروت سنة ١٩٦٦،ط١ص٢٤٨.

(١٢) أميره مطر: فى فلسفة السياسة ، دار الثقافة القاهرة سنة ١٩٧٨،ص٦١.

(١٣) جميل صليبا: تاريخ الفلسفة العربية ، دار الكتبا اللبنانى بيروت سنة ١٩٨١،ص١٦٨.

(١٤) الفارابى: أراء اهل المدينة الفاضلة مطبعة النيل بمصر بدون تاريخ ، ط١،ص٧٧ أيضا الفارابى تحصيل السعادة حققهجعفر ال ياسين دار الاندلس،ص٦١.

(١٥) الفارابى: السياسة المدنية، حققه وقدم له علق عيه د. فوزى مترى نجار المطبعة الكاثوليكيه لبنان سنة ١٩٦٤،ط١،ص٦٩.

(١٦) الفارابى تحصيل السعادة ، ص ٦٣.

(١٧) الفارابى: التنبيه على سبيل السعادة ، حققه وقدم له وعلق عليه د جعفر آل ياسين ، دار المناهل بغداد ،ص٤٩.

(١٨)المصدر السابق ص٥١.

(١٩) المصدر السابق ص ٦٧ .

(١٨) المصدر السابق ص ٥١.

(١٩) المصدر السابق ص ٦٧.

(٢٠) محمد يوسف موسى: نظام الحكم فى الاسلام دار الكتاب العربى للطباعة والنشر القاهرة سنة ١٩٦٣، ط٢ ، ص ١٧ .

(٢١) مصطفى الخشاب: تاريخ الفلسفة والنظريات السياسية ص ٩٨.

(٢٢) الفارابى: السياسة المدنية ص ٦٩ ، ٧٠ أيضا آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٧٧، ٧٨.

(٢٣) الفارابى: السياسة المدينة ص ٧٠ ، ٧١.

- ويذهب أبن خلدون إلي أن هناك مجموعة من العوامل التي تؤثر على العمران البشري منها عوامل طبيعية وعوامل اقتصادية وأخرى نفسية ويتفق أبن خلدون مع الفارابي في أن العوامل الطبيعية من هواء وإقليم بشكل عام يؤثر في ألوان البشر وأخلاقهم .
- انظر أبن خلدون : المقدمة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ص٣٧١ وما بعدها .

(٢٤) على عبد الواحد وافى: أراء أهل المدينة الفاضلة للفارابى ، تراث الانسانية مج٢ وزارة الثقافة والارشاد القومى ص ٥٨٠، محمد يوسف موسى : نظام الحكم فى الاسلام ص ١٣٤ ، ١٣٥، أيضا عاطف العراقى: الفلسفة العربية مدخل جديد الشركة المصرية للنشر لو نجمان سنة ٢٠٠٠ ص ١٢٥ ، ١٥٣ ، ايضا الفلسفة العربية والطريق الى المستقبل ص ٥٤ ،٥٥ دار الرشاد ١٩٩٨

(٢٥) وعندما يتحدث الفارابى عن الأمة وعن الانسانية يرمى الى تنظيم دينى يقربه الى مفهوم الخلافة. انظر يوسف كرم فى المدينة الفاضلة ص ٤٣٢ محاضرة ألقاها فى الحلقة التوماوية ، ضن كتاب يوسف كرم مفكرا عربيا تصدير واشراف عاطف العراقى المجلس الأعلى للثقافة سنة ١٩٨٨ ، ايضا أنظر محمد يوسف موسى نظام الحكم فى الاستلام ص ١٥،١٩.

(٢٦) الفارابى: تحصيل السعادة ص ٦٠ ،٦١ ، ٦٣.

(٢٧) جعفر آل ياسين: تعليقات على تحصيل السعادة للفارابى ص ١٠٦.

(٢٨) الفارابى: تحصيل السعادة ص ٦٩.

(٢٩) المصدر السابق ص ٧٣: ٧٥.

(٣٠) انظر المصدر السابق ص ٤٩.

(٣١) الفارابي تحصيل السعادة ص٦٩ ، أيضا أحمد فؤاد الأهوانى : الفلسفة الاسلامية وزارة الثقافة والارشاد القومى المكتبة الثقافية العدد ٦٩، سنة ١٩٦٢ ، ص ٧٧ ، يرى الفارابى أن القوة الفكرية هى تلك القوة التى يستنبط بها ما هو نافع او جميل ويستنبط بها النواميس او القوانين الاجتماعية ،

وميزبين نوعين منها فاحدهما تلك التى لا تخضع لتغيير أو تبديل وتستمر حقب زمنية طويلة ، وثانيهما تخضع للتبدل وتستمر مدد يسيره وكلاهمـــا (الثابتـــة والمتغيرة) تخضع للفاعل من جهة وللارادة من جهـــة أخـــرى، مثـــال الأول الانسان نفسه ، ومثال الثانى صفاته كالعفة واليسار وما شابه ذلـــك ، فالعفـــة واليسار يخضعان للتغير والصيرورة حسب الزمان والمكان فى كـــل أمـــة أو مدينة فهى معان معقوة إرادية . انظر تحصيل السعادة ص ٦٦، ٦٧.

(٣٢) لا نقصد هنا باختيار الرئيس معنى خاص للرئاسة ، بل معنى عام ، فـــالرئيس فى أى شئ ، رئيس صنعة أو فئة معينة.

(٣٣) الفارابى: تحصيل السعادة ص ٧٧.

(٣٤) جميل صليبا: تاريخ الفلسفة العربية ص ٥٥.

(٣٥) الفارابي : تحصيل السعادة ص٩٧ .

(٣٦) الفارابى: السياسة المدنية ص ٧٧.

(٣٧) الفارابى: التنبية على سبيل السعادة ص ٤٨.

(٣٨) يمكننا أن نتبين من خلال نصوص الفارابي في العديد من كتبه نزعـــه شـــيعية عنده ، فمن المعروف أن فكرة الإمام تلعب دوراً محورياً في الفكر الشـــيعي ، فالإمام هو المعلم ولا يمكن لأحد أن يصل إلي علم حقيقي إلا من خلال الإمام ، لأن الإمام عنده العلم الصادق ، وترجع مصداقية علم الإمام إلي أنه يتصـــل بالسماء عن طريق الوحي ، فلا بد من طاعة الإمام الذي هو الحاكم فطاعتـــه واجبة ، هذا القول نجده عند الفارابي ، فعندما يقول الفارابي أن الرئيس هـــو الإمام وهو النبي وهو الفيلسوف جميعهم عنده بمعنى واحد ويرجع ذلك ، إلي أن مصدر المعرفة عندهم جميعا واحد ، والحكيم عنده هو الذي يوحي إليـــه ، فالمعرفة فيض من السماء وهذه نظره شيعية ، انظر تحصيل السعادة ص٤٣ ، ٤٤ .

(٣٩) الفارابي : السياسة المدنية ص٧٨ .

(٤٠) محمد يوسف موسى : نظام الحكم في الإسلام ص٣٢ ، ٤٨ .

(٤١) على عبد الواحد وافي : آراء أهل المدينة الفاضلة ص٥٨٠ .

(٤٢) الغزالى: الاقتصاد فى الاعتقاد، مطبعة حجـــازى بالقــاهرة بــدون تــاريخ ط١،ص١٠٥،١٠٦.

(٤٣) الفارابى: أراء أهل المدينة الفاضلة ص ٧٨، ٧٩.

(٤٤) يوسف كرم: أراء أهل المدينة للفارابى ص ٤٣٠

(٤٥) ماجد فخرى: تاريخ الفلسفة الاسلامية ترجمة كمال اليازجى الـــدار المتحــدة للنشر ، بيروت سنة ١٩٧٤،ص١٧٥.

(٤٦) الفارابى: السياسية المدينة ص ٨٣،٨٤ ، أيضا أنظر أراء أهل المدينة الفاضلة ص ٨٢.

(٤٧) جميل صليبا: تاريخ الفلسفة العربية ص ١٧٢.

(٤٨) ابراهيم مدكور: فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقه ص ٧٠ ، يذهب كوربان الى أن المدينة الفاضلة لم تكن بذاتها ما قصد الفارابى إن هى الا وسيلة لهداية الناس الى طريق السعادة المطلقة، انظر كوربان تاريخ الفلسفة الاســلامية ص ٢٥١، ويرى د. مدكور أن نظرة الفارابى للمدينة وتماسكها وان كل فرد فـــى هذه المدينة يتألم ويفرح كل من فى المدينة متأثر فى هذا بافلاطون ، ولكننـــا يمكن أن نقول ان هذا الأثر لايرجع لافلاطون بل يرجع الى الاسلام وتعاليمه.

(٤٩) الفارابى: أراء أهل المدينة الفاضلة ص ٨٠

(٥٠) الفارابى: تحصيل السعادة ص ٧٧.

(٥١) الفارابى: أراء أهل المدينة ص ٨٣

(٥٢) المصدر السابق ص ٨٦ : ٩٠ ، هذه الصفات التى وضعها الفارابى لرئيـــس المدينة هى نفسها التى وصفها الفيلسوف على الحقيقة وذلك فى كتابة تحصيل السعادة ص ٩٤ ، ٩٥، فيقول الفيلسوف على الحقيقة هو الذى سبيله أن يشرع فى النظر ينبغى أن يكون له بالفطرة استعدادا للعلوم النظرية ، وأن يكون جيد الفهم والتصور للشئ وأن يكون حافظاً وصبوراً على الكد الذى يناله فى التعليم

، وأن يكون محبا للصدق وأهله والعدل وأهله ، وغـــير شـــره فـــي المـــأكل والمشرب وأن يكون ورعاً سهل الانقياد وقوى العزيمة ويربى على النواميس ، وأن يكون صحيح الاعتقاد ، متمسكا بالفضائل ، لوقارنا بين الصفات التـــى وصف بها رئيس المدينة والصفات التى وصف بها الفيلسوف نجدها واحـــدة ، وقد يرجع ذلك إلى أنه يرى أن الفيلسوف هو الذى يصلـــح رئيســـا للمدينـــة الفاضلة.

(٥٣) من المعروف عن الفارابى ومن خلال نظرية الفيض أو الصـــدور أن هنـــاك فيضا للمعرفة يتم هذا الفيض من خلال اتصال الانسان بالعقل الفعال، فعندمـــا يتصل بالعقل الفعال تكون قد استكملت قوته المتخيلة وكون لديه استعداداً لتقبل كل ما يتلاقاه من العقل الفعال ويكون عقله المنفعل قد استكمل بالمعقولات كلها فلا تخفى عليه منها شئ وصار عقلا بالفعل وصار المعقول منه هو الذى يعقل حصل حينئذ عقل ما بالفعل رتبه فوق العقل المفعل وأشد مفارقة للمادة وقربـــا من العقل الفعال ويسمى بالعقل المستفاد والذى هو وسط بين العقل المنفعـــل والعقل الفعال، ومتى أشرق العقل الفعال على قوته الناطقة النظرية والعملية ثم فى قوته المتخيلة كان هذا الانسان يوحى إليه من الله عز وجل بتوسط العقـــل الفعال فيكون ما يفيض من الله تبارك وتعالى الى العقل الفعال فيضـــه العقـــل الفعال على المنفعل يتوسط العقل المستفاد ثم الى المتخيلة فيكون بما يفيض منه الى عقله المنفعل حكيما وفيلسوفا وبما يفيضه العقل الفعال على المتخيلة يكون نبيا وهذا الانسان هو فى أكمل مراتب الانسانية. انظر للفـــارابى : السياســـة المدنية ص ٧٩، ٨٠ ، أراء أهل المدينة ص ٨٤:٨٦ ، أيضا يوسف كرم أراء أهل المدينة الفاضلة ص ٤٣٠ ، وكما يقول الفارابى فى كتابه الملة (مـــأخوذة عن هامش كتاب دى بور تاريخ الفلسفة فـــى الاســـلام ص ٢٢٢) فـــالرئيس الفاضل إنما تكون مهنته ملكية مقرونة بوحى من الله تعـــالى ، وإنمـــا يقـــدر الأراء والأفعال التى فى الله الفاضلة بالوحى بأحد وجهين أو بكليها : أحدهما أن توحى اليه هذه كلها مقدرة ، والثانى أن يقدرها هو بالقوة التى استفادها هو

عن الوحى والموحى تعالى حتى تكشفت له بها الشرائط التى بها يقـــدر الأراء والأفعال الفاضلة أو يكون بعضها بالوجه الأول وبعضها بالوجه الثانى.

(٥٤) دى بور: تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٢٢٢.

(٥٥) انظر Muhsin Mahdi: Al farabi, in "history of political philosophy", P. 182

(٥٦) الفارابى: أراء أهل المدينة الفاضلة ص ٨٩.

(٥٧) الفارابى: تلخيص النواميس ، ضمن كتاب أفلاطون فى الاسلام نصوص حققها وعلق عليها عبد الرحمن بدوى ، دار الاندلس بـــيروت لســـنة ١٩٨٢ ، ص ١٦٤ ط٣ يؤكد أفلاطون على أهمية الحكمة كشرطا أساســـيا فـــى الحكـــم ، ويرى أنها أهم من كل الصفات ، فهى تضم كل الصفات ، فقد يظن لمن لـــــه طبع جيد وأخلاقا فاضلة أنه يستحق الرئاسة ، وليس الأمر كما يظنون ، فـــلا يستحق الرئاسة إلا المتخرج فى الحكمة ، وذلك بأن يكون عالمـــــا بالحســـاب والهندسة ، فإنه ليس يقوى على التدبير والسياسة ولا يعرف وجوه التقدير إلا بمعرفة العدد ، وهذا القول من جانب أفلاطون يؤكد أهمية الرياضيات عنـــده ولذلك كتب على باب الأكاديمية لا يدخلها إلا من كان رياضيـــا أو مهندســـا ، كذلك نجده يحدد السن الذى يجب أن يكون عليها الحاكم فهو ما بيـــن خمســـة وثلاثين الى خمسين سنة، فلا يكون حدثا لا تجارب له ، ولا يكون شـــــيخا لا صبر له على الأمور ، كذلك لابد أن يُعرض الحاكم قبل أن يولى للإغرائـــات حتى يتعرفوا على مدى قدرته على الصمود ، هكذا اهتم فليســـوف مـــا قبـــل التاريخ (أفلاطون) بصفات الحاكم وما يجب ان يتوافر فيه ، هذا الاهتمام الذى نفتقده فى كل أمور حياتنا من ادناها الى اقصاها ونحن فى عصـــــر الأقمـــار الصناعية.

(٥٨) المصدر السابق ص ٥٥.

(٥٩) المصدر السابق ص ٥٩.

(٦٠) أفلاطون: الجمهورية ص ٤١٦.

(٦١) محمد على أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفى ط ١ص ٢٤٧.

(٦٢) الفارابى: تحصيل السعادة ص ٨٠.

(٦٣) الفارابى: تحصيل السعادة ص ٧٨، ٧٩.

(٦٤) المصدر السابق ص ٨٠.

(٦٥) أحمد صبحى: بين ديمقراطية أثينا ص ٢٠٦.

(٦٦) الفارابى: انظر السياسة المدنية ص ٨٧ ، ١٠٤ : ١٠٧.

(٦٧) المصدر السابق ص ١٠٧

(٦٨) المصدر السابق ص ٨٧ ، اختلفت مدينة الفارابى الفاضلة عن المدينة الكاملة عند ابن باجة أختلافا بينا ، فمدينة أن باجة أفعالها كلها صواب ، ولذلك لا يتغذى أهلها بالاغذية الضارة ، فلا يحتاجون إلى أدوية ، وأرائها كلها صادقة ، وأنه لا رأى كاذبا فيها ، وان أعمالها هى الفاضلة بالاطلاق ، وأفرادها جميعهم يجتمعون على رأى واحد ، ولا يوجد من يرى غير رأيها أو يعمل غير عملها ، والمدينة الفاضلة هذه لا يوجد فيها صناعة الطب ولا صناعة القضاء ، وذلك لأن المحبة بينهم فلا تشاكس بينهم أصلا ، ولا يأكلون إلا النافع ، لكن قد يلحق بها فساد فينتج عنها المدن غير الكاملة التى يوجد فيها نوابت.

- هذا الاسم (النوابت) كما يقول ابن باجة نقل اليهم هذا الاسم من العشب النابت من تلقاء نفسه بين الزرع ، فهو ليس غير صالح كما هو عند الفارابى الذى شبهه بالشيلم والشوك بالنسبة للزرع بمعنى أنه ضار بالزرع ، كذلك هو بالنسبة للمدينة الفاضلة يمثل عنصراً فاسدا فيها ، بينما نجدهم عند ابى باجة على الرغم من خلو المدينة الفاضلة منهم إلا انهم يساعدون على تكوين مدينة فاضلة لأنهم وان كانوا ينشأوا فى مدينة ليست فاضلة إلا أن لهم أراءاً غير تلك التى يشترك فيها اهل هذه المدينة ، فهم يرون الرأى الصادق ولذلك هم نوابت تساعد فى تكوين مدينة فاضلة ، فهم يحاولون اصلاح الفساد على مر السنين ، من هنا يتضح لنا الفرق بين مدينة ابن باجة الفاضلة ومدينة الفارابى

التى قد نجد فيها عنصراً فاسداً ، أنظر ابن باجة: تدبير المتوحد تحقيق ماجد فخرى دار النهار بيروت سنة ١٩٦٨ ص ٤١ : ٤٣.

(٦٩) ماجد فخرى: تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ترجمة كمال اليازجى الدار المتحدة للنشر بيروت سنة ١٩٧٤ ، ص ١٧٦.

(٧٠) الفارابى: أراء أهل المدينة الفاضلة ص ٩١ ، يذكر الفارابى فى هذا الكتاب أن هذه المدينة يطلق عليها اسم المدينة البدالة بينما نجده فى كتاب السياسة المدينة ص ٨٨ يذكر هذه المدينة بأنها مدينة النذالة أو اجتماع اهل النذالة ، لكن على أية حال فكلا اللفظين يؤكد أنها مدينة مضادة للمدينة الفاضلة.

(٧١) الفارابى: السياسة المدينة ص ٩٥ : ١٠٤ ، انظر ايضا آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٩٠ : ٩٢

(٧٢) حسن حنفى: من النقل الى الابداع مج٢ التحول دار قباء القاهرة ، ص ٤٧.

(٧٣) ماجد فخرى: تاريخ الفلسفة الاسلامية ص ١٧٨.

(٧٤) الفارابى: السياسة المدنية ص ٨٣.

(٧٥) الفارابى: أراء أهل المدينة الفاضلة ص ٩٨، ٩٩ ، هل يمكن ان نستنتج من أقوال الفارابى

(٧٦) ماجد فخرى: تاريخ الفلسفة الاسلامية ص ١٧٨.

أهم المصادر والمراجع:

١- ابن باجه: تدبير المتوحد، تحقيق ماجد فخرى، دار النهار بيروت ١٩٦٨.

٢- ابن خلدون: المقدمة ، إحياء التراث العربى بيروت.

٣- ابو ريان (محمد على): تاريخ الفكر الفلسفى ج، ط٢، الدار القومية للطباعة ١٩٦٥.

٤- أفلاطون: الجمهورية، ترجمة ودراسة فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتب ١٩٧٠.

٥- الخشاب (مصطفى): تاريخ الفلسفة والنظريات السياسية ط١ لجنة البيان العربى ١٩٥٣.

٦- العراقى (عاطف): الفلسفة العربية مدخل جديد، الشركة المصرية للنشر، لونجمان ٢٠٠٠.

٧- العراقى (عاطف): الفلسفة العربية والطريق الى المستقبل، دار الرشاد ١٩٩٨ .

٨- الغزالى : الاقتصاد فى الاعتقاد، ط١، مطبعة حجازى القاهره بدون تاريخ .

٩-الفارابى : أراء أهل المدينة الفاظلة ط١، مطبعة النيل بمصر بدون تاريخ.

١٠- الفارابى: تحصيل السعادة، تحقيق جعفر آل ياسين دار الاندلس.

١١- الفارابى : التنبيه على سبيل السعادة،حققه وقدم لـــــه جعفـــر آل ياسين دار المناهل بغداد ٠

١٢- الفارابى: السياسة المدنية، حققه وقدم لـــــه فـــوزى نجـــار ط١، المطبعة الكاثوليكيه لبنان ١٩٦٤ ٠

١٣- الفارابى: كتاب الملة، ماخوذ من كتاب دى بور تاريخ الفلسفة فى الاسلام٠

١٤- الفارابى: تلخيص النواميس لافلاطون، ضمن كتاب افلاطون فى الاسلام تحقيق عبد الرحمن بدوى،ط ٣ دار الاندلس بيروت ١٩٨٢

١٥- ال ياسين (جعفر): تعليقات على كتاب الســـــعادة للفرابـــى، دار الاندلس٠

١٦- الاهوانى (احمد فؤاد): الفلسفة الاسلامية، وزارة الثقافة والارشاد القومى المكتبة الثقافية العدد٦٩ سنة ١٩٦٢

١٧- [illegible]ين (ميرزا محمد) : الاسلام والاشـــتراكية ، ترجمـــة عبـــد الرحمن ايوب مراجعة على ادهم ، المؤسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، بدون تاريخ

١٨- حنفى (حسن) من النقل الى الابداع ،مج٢، التحول،دار قباء

١٩- دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ترجمة عبد الهادى ابو ريده

٢٠- صبحى (أحمد) : بين ديمقراطية اثينا وديكتاتورية اســـبرطة ، مقالة ضمن الكتاب التذكارى ليوسف كرم اشراف وتصدير عاطف العراقى ، المجلس الاعلى للثقافة سنة ١٩٨٨.

٢١- صليبا (جميل) : تاريخ الفلسفة العربية ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت سنة ١٩٨١ .

٢٢- فخرى (ماجد): تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ترجمة جمال اليازجى ، الدار المتحدة للنشر بيروت سنة ١٩٧٤ .

٢٣- كاسيرر (ارنست) : الدولة والاسطورة ، ترجمة أحمد حمدى محمود ، مراجعة احمد خاكى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥ .

٢٤- كرم (يوسف) : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ط٤ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٨ .

٢٥- كرم (يوسف) : أراء اهل المدينة الفاضلة ، محاضرة القاها فى الحلقة التوماوية ضمن الكتاب التذكارى ليوسف كرم اشراف وتصدير عاطف العراقى ، المجلس الاعلى للثقافة سنة ١٩٨٨ .

٢٦- كوربان (هنرى) : تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ترجمة نصر مروة ، راجعه وقدم له الامام موسى الصدر وعارف تامر ،ط١، منشورات عويدات بيروت سنة ١٩٦٦.

٢٧- مدكور (ابراهيم) : فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقه ط ، ط٣ ، دار المعارف سنة ١٩٨٣.

٢٨- مطر (أميرة) : فى فلسفة السياسة ، دار الثقافه ، القاهرة سنة ١٩٧٨ .

٢٩- مطر (أميرة) : الفلسفة اليونانية تاريخهـــا ومشـــكلاتها ، دار المعارف سنة ١٩٨٨

٣٠- موسى (محمد يوسف) : نظام الحكم فى الاسلام ط٢، دار الكتـــاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة سنة ١٩٦٣

٣١- وافى (على عبد الواحد) : أراء اهل المدينة الفاضلة للفرابى ، مقالة فى مجلة تراث الانسانية مج٢ وزارة الثقافة والارشاد القومى

32- Muhsin mahdi: Al farabi, in "history of political philosophy, Chicago, 1972 .